

2026/06/09.

مستخرج من محضر اجتماع مكتب المجلس العلمي رقم 25.

وافق مكتب المجلس العلمي لكلية الآداب واللغات المنعقد بتاريخ 2026/06/09 على

اعتماد الحامل البيداغوجي المقدم من الأستاذ(ة) : "بن وزغار مختار" من قسم اللغة العربية

بعنوان : محاضرات في المدارس النحوية الموجهة إلى طلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص

لسانيات عامة.

رئيس المجلس العلمي
د. بن شمشاتي محمد
رئيس المجلس العلمي
لكلية الآداب واللغات

محاضرات في المدارس النحوية

مطبوعة مقدمة لطلاب السنة الثالثة- تخصص لسانيات عامة

إعداد الدكتور: مختار بن وزغار

السنة الجامعية 2026/2025



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة غليزان
Université de Relizane

الموسم الجامعي: 2026/2025



إشهاد

يشهد رئيس قسم اللغة العربية أن:

الأستاذ: بن وزغار مختار

الرتبة: أستاذ محاضر ب

قد درس مقياس المدارس النحوية لمدة 03 سنوات

الطور: السنة الثالثة ليسانس

ميدان: اللغة و الأدب العربي

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات عامة



د. بورزامة عواد
رئيس قسم اللغة العربية

يمنح هذا الإشهاد لاستعماله في حدود ما يسمح به القانون



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الآداب واللغات
نبأية العمادة المكلفة بما بعد التدرج
و البحث العلمي و العلاقات الخارجية

التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية

أنا الممضي أسفله،

السيد (ة) بن عز غار مختار الصفة: أستاذ محاضر
الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 10955115 والصادرة بتاريخ 2018/06/08
المنتمي إلى كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية
والمكلف (ة) بإنجاز الحامل البيداغوجي عنوانه:

محاضرات في الممارس النحوية
لطلاب السنة الثالثة لسانيات عامة

أصرح بشرفي أنني التزمت بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية
المطلوبة في إنجاز الحامل البيداغوجي المذكور أعلاه.

غليزان في 2018/05/24

توقيع المعني (ة)

المقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان علمه البيان، فقال عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ

﴿۱﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿۲﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿۳﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿۴﴾ (الرحمن:

1-4)، علمه بالقلم علمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وعلى خير من علم نبينا محمد وعلى آله وأصحابه خير البررة وخير الطلاب والتلاميذ المهرة رضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعد.

فهذه مطبوعة بيداغوجية هي ثمرة جهد تعليمي قدمته لطلبة السنة الثالثة، تخصص لسانيات عامة، وما لم أكتبه كان أكثر، إذ القيام في الدرس يكون أكثر بينا وتفصيلا مما يكتب على الورق، في مادة أساسية من مواد التخصص، وهي: مادة المدارس النحوية، احتوت على خمسة عشر محاضرة حسب مفردات المادة المسطر في برنامج التخصص.

كان نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين حدثا مهما في تاريخ العربية، حيث صارت لغة الكثير من بلاد العالم، مما أدى إلى ظهور اللحن الذي صار خطرا على اللغة وعلى القرآن، وقد كانت العرب في قبل ذلك تنطق على السليقة، وتكره الخطأ في اللغة، فلما انتشر الإسلام واجتمعت الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة تفشى اللحن، فظهرت الحاجة إلى وضع قواعد تحفظ العربية من هذا الخطر، وكانت تلك هي قواعد النحو التي انصرفت الهمم لوضعها بضبط حركات الإعراب والبناء، وضبط أبنية الكلم ومعرفة أحوالها .

فقد قمت في المحاضرة الأولى بالتعريف بالمفاهيم التأسيسية : قدمت تعريفا لأهم المصطلحات والمفاهيم التي يبنى عليها تفريقنا بين مختلف المذاهب النحوية التي ظهرت في الأقاليم العربية، وهذه المصطلحات هي: المذهب الاتجاه المدرسة النحوية.

أما في المحاضرة الثانية فقامت بإبراز أسباب ظهور المدارس النحوية وذلك بالتركيز على أهم الأسباب وأبرزها: الدينية، والسياسية والمذهبية، والمعرفية، والقومية.

وفي المحاضرة الثالثة: عرضت للطلبة المصادر المرجعية التي انبنى عليها الدرس النحوي للمدارس النحوية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وشعر العرب ونثرها.

أما المحاضرة الرابعة: فقامت بعرض المناهج والطرق والأساليب التي انتهجها نحاة المدارس النحوية العربية القديمة فتطرقنا إلى اختلافها في التخريج والمصطلحات وغيرها.

وفي المحاضرة الخامسة: فتعرضت للمدارس النحوية في المشرق والمغرب العربيين، وذلك بالوقوف على مسألة مهمة في الدرس النحوي، وهي وجود مدارس نحوية من عدمه، نظرا لاختلاف الآراء بهذا الشأن، فمن الدارسين من ينفي عن بعض الأقطار العربية كمصر، والشام، والأندلس تأسيسها لمذهب نحوي خاص. حيث نحاول بيان وجهة نظرنا التي ترجح كفة تعدد المدارس النحوية.

ثم عرضنا في المحاضرة السادسة للمدرسة والحديث عن منهجها في السماع والقياس والتعليل والرواية وأهم أعلامها.

ثم عرضنا في المحاضرة السابعة إلى المدرسة الكوفة وتحدثنا عن منهجها في السماع والقياس والتعليل والرواية وأهم أعلامها.

وفي المحاضرة الثامنة: تطرقنا إلى البغدادية وتحدثنا منهجها في السماع والقياس والتعليل والرواية وأهم أعلامها.

وفي المحاضرة التاسعة عرضنا إلى الاختلافات النحوية بين مدارس النحو في المشرق العربي، حيث بينا أوجه الاختلاف بين المدارس النحوية البصرية والكوفية والبغدادية، من حيث السماع والقياس والتعليل.

أما في المحاضرة العاشرة فتعرضت إلى الاختلافات النحوية بين المدارس النحوية في المغرب وتعرضت إلى الاختلافات النحوية في الدرس النحوي في بلاد الأندلس والمغرب الإسلامي.

وفي المحاضرة الحادية عشر تناولت المدرسة النحوية في بلاد الأندلس، فتناولت تاريخ دخول الدرس النحوي إلى بلاد الأندلس، وأشهر نحاتها وعلمائها.

وفي المحاضرة الثانية عشر: تطرقت إلى المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية إلى منهاجها وطرق التأليف في الدرس النحوي عندها.

وفي المحاضرة الثالثة عشر تناولت الاختلافات النحوية في المنظومات، حيث ذكرت ظهور هذا النوع من التأليف أسبابه ومنهجه وخصائصه وأهم المنظومات النحوية التي ظهرت. مثل ملحّة الإعراب للحريري، والدرة الألفية لابن معطي الزواوي، وألفية ابن مالك.

وفي المحاضرة الرابعة عشر تطرقت إلى الاختلافات النحوية في المتن، حيث تناولت مصطلح المتن بالتعريف وذكرت أنواعه، وخصائص المتن العلمية، وأهم المتن العلمية مثل الفصول الخمسون لابن معطي الزواوي، وشرح التسهيل لابن مالك.

وفي الأخير تناولت في المحاضرة الخامسة عشر: الاختلافات النحوية في المتن العلمية، في متن الأجرومية خصائص المنهجية، ومتن قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري.

وقد استعنت في تقديم هذه المحاضرات وكتابتها بمجموعة من المصادر والمراجع التي تزخر بها المكتبات العربية، وعلى رأسها أمات كتب النحو، كالكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد والخصائص لابن جني، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، مع الاستعانة بالمراجع الحديثة التي ألف أصحابها في موضوع المدارس النحوية، وأهمها: المدارس النحوية لشوقي ضيف، والمدارس النحوية لخديجة الحديثي، والمدارس النحوية أسطورة وواقع لإبراهيم السامرائي، وتاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب لمحمد المختار ولد أباه، ومدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو لمهدي المخزومي.

أما المنهج المعتمد في بناء المحاضرات والدروس، فكان متنوعا، حيث استعنت بالمنهج التاريخي في سرد تاريخ المدارس النحوية وترجمة أعلامها، كما استعنت بالمنهج التحليلي مع الوصفي في تحليل مصادر المدارس النحوية من سماع وقياس وتعليل، وأما المنهج المقارن فقد استعنت به في التعرض لاختلافات المدارس النحوية في تعرضها للدرس النحوي.

وفي الأخير أحمد الله خير حامد على ما منّ به علي من إتمام هذا العمل على ما بذلت فيه من جهد، واستنفذت فيه من طاقة في سبيل إخراج على أحسن ما يرام ويبتغى.

وكتبه: الدكتور: مختار بن وزغار

بتاريخ: 2026/05/31.

عنوان الليسانس: لسانيات عامة

المستوى: الخامس

الأستاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الأساسية

الأستاذ المسؤول على المادة

المادة: المدارس النحوية (محاضرة+أعمال موجهة)

أهداف التعليم

المعارف المسبقة المطلوبة

محتوى المادة

الرصيد: 05	المعامل: 03	مادة:المدارس النحوية	السادسي الخامس: وحدة التعليم الأساسية
---------------	----------------	----------------------	--

رقم	مفردات المحاضرة	مفردات الأعمال الموجهة
01	مفاهيم تأسيسية (المذهب، الاتجاه، المدرسة النحوية...)	قراءة في بعض المعاجم والموسوعات
02	أسباب ظهور المدارس النحوية: السياسية، المعرفية، المذهبية	قراءة في كتاب المدارس النحوية، شوقي ضيف/ كتاب في المدارس النحوية، خديجة الحديثي.
03	مصادر المدارس النحوية	مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو، مهدي المخزومي
04	مناهج المدارس النحوية العربية القديمة: الاختلاف، التخريج	قراءة في كتاب أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم
05	المدارس النحوية في المشرق والمغرب العربيين	قراءة في كتاب المدارس النحوية أسطورة أم واقع للسامرائي.....
06	المدرسة البصرية منهجها وأعلامها	مدرسة البصرة، محمود السيد.....
07	مدرسة الكوفة منهجها وأعلامها	معاني القرآن، الفراء/ مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو، مهدي المخزومي
08	المدرسة البغدادية منهجها وأعلامها	نصوص: اللمع في العربية، لابن جني/ الخصائص، ابن جني ..
09	الاختلاف النحوي بين مدارس النحوي (المشرق)	الإنصاف، ابن الأنباري/ التبيين في إعراب القرآن، العكبري/ الجمل، الزجاج/ الإيضاح في علل النحو، الزجاجي
10	الاختلاف النحوي بين مدارس النحوي (المغرب العربي)	نصوص: الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي
11	المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية1	نصوص: الألفية، ابن مالك/ الممتع في التصريف، ابن عصفور....
12	المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية2	نصوص: ارتشاف الضرب من كلام العرب، أبو حيان النحوي/ الأصول، ابن الخشاب...
13	الاختلافات النحوية في المنظومات	شروح المنظومات النحوية: الفصول الخمسون، ابن معطي/ الألفية، ابن مالك

14	الاختلافات النحوية في المتن 1	الأجرومية، ابن أجروم الصنهاجي/
15	الاختلافات النحوية في المتن 2	قطر الندى وبل الصدى، وشرح شذور الذهب لابن هشام/أنصاري/ الواضح، الزبيدي

طريقة التقييم: يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلًا طوال السداسي.

المراجع: (كتب، ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)

1. شوقي ضيف، المدارس النحوية
2. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة وأثرها في اللغة والنحو
3. ابن الأنباري الإنصاف في مسائل الخلاف،
4. العكبري، التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين
5. الأخفش، مسائل خلافية
6. خديجة الحديثي، في المدارس النحوية
7. شوقي ضيف، المدارس النحوية
8. ابراهيم السامرائي المدارس النحوية، اسطورة وواقع
9. عبد العال سالم مكرم المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة
10. محمود حسيني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي
11. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو
12. عبد العزيز المرسي حداد، الأصول النحوية عند المدرسة الأندلسية
13. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق أبو الفضل

محاضرات في المدارس
النحوية

المحاضرة الأولى: مفاهيم تأسيسية:

لقد تأسس النحو العربي في بداية نشأته في شكل مذاهب ارتبطت بالأماكن التي ظهر فيها. فبدأت الدراسات النحوية في البصرة على يدي أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه من أمثال عيسى بن عمر الثقفي وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وغيرهم، ثم ظهر النحو بعد ذلك في الكوفة على يدي الكسائي والفراء ثم في بغداد على يدي أبي علي الفارسي وغيره، فبدأ ظهور التمدد لاختلاف الدراسات بينهما.

1- المذهب:

أ- لغة: المذهب في اللغة مصدر ميمي من فعل ذهب، فنقول: ذهب، يذهب، ذهاباً، ومذهباً، والذهاب: السير والمرور، والمذهب: هو الطريق ال تي يسلكها الذاهب¹، والمذهب: طريقة وقصد ورأي يلتزمه صاحبه ويسير عليه ويتمسك به.

والمذهب لغة مشتق على صيغة «مفعّل» من الذهاب وهو المضى، يقال ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَاباً وَذُهِباً. وقد ذَهَبَ مَذْهَباً حَسَناً².

فالمذهب هو من صيغ المصدر الميمي الذي يدل على زمان الذهاب ومحلّه ومن هنا فسرّه اللغويون بالطريق.

والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه، فقد يكون الطريق حسياً وقد يكون معنوياً، فنقول: تفرق الناس في مسألة ما مذاهب شتى، أي اختلفوا إلى عدة آراء. ومن المجاز والكناية أن المذهب بمعنى المعتقد الذي يذهب إليه، يقال «ذهب فلان مذهباً حسناً»³. وفي هذا نجد

¹ - ينظر : ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1/ 1997، 49/6. (بتصرف).

² - ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2/

(1389هـ - 1392هـ) (1969م - 1972م)، تصوير: دار الجيل ودار الفكر، بيروت، لبنان، 362/2

³ - ينظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت

- لبنان، ط1/ 1419هـ - 1998م، 319/1

كتب المعاجم واللغة قد اتفقت على هذا المعنى. وهذا مما يتعارض عليه المعنى اللغوي والاصطلاحي.

ب- اصطلاحاً:

- **المذهب في علم الفقه:** هناك عدة تعريفات للمذهب عند الفقهاء والأصوليين. سنقتصر على بعضها لبيان مفهوم المذهب عند الفقهاء.

التعريف الأول: ما نصّ عليه الإمام أو أوماً إليه، أو خرّجه أصحابه، أو ما استتبطوه من قوله أو تعليقه. وقد ذكر هذا التعريف ابن حمدان⁴

التعريف الثاني: ما ذهب إليه الإمام من الأحكام الاجتهادية. وهذا تعريف محمد الحطاب، وإبراهيم اللقاني، ومحمد الدسوقي، وغيرهم.

التعريف الثالث: "ما اختص به الإمام من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية، وما اختص

5

به من أسباب الأحكام، والشروط، والموانع، والحجاج المثبتة لها".

وهذا تعريف شهاب الدين القرافي، وقد أفاض في شرحه وتوجيهه. وقريب منه تعريف أحمد الحموي، إذ عرّف المذهب بأنه: ما

ويقول الدسوقي في حاشيته على الدرديري 19/1: "مذهب مالك عبارة عما ذهب إليه

من الأحكام الاجتهادية التي بذل وسعه في تحصيلها".⁶

أي أن المذهب عند علماء الفقه يعني: الأحكام الفقهية المستفادة من أدلتها بطريق

الاجتهاد.

⁴ الدكتور خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمهيد - دراسة نظرية نقدية - (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1/1434هـ - 2013م، ص69.

⁵ - القرافي، شهاب الدين: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ص194-195.

⁶ - الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، (د.ط - د ت)، 191/1.

وعند الأصوليين هو: الطريق الذي يسلكه المجتهد في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية⁷.

و من خلال ما سلف سرده فإن المذهب يطلق على ما ذهب إليه إمام المذهب من الاختيارات والأحكام المنسوبة إليه، فالمذهب بالمعنى الحقيقي يطلق على فقه إمام المذهب، فمثلاً: فقه الإمام أحمد، هو المذهب حقيقة. ومذاهب الأئمة التي اشتهرت وعمل أصحاب الأئمة من بعدهم على نقلها وتحريرها وتنقيحها بقيت تحمل اسم إمام المذهب المعمول به، لكن أصحاب إمام المذهب من بعده إذا كانوا من فتخريجاتهم في مذهب إمامهم لا تنسب إلى إمام المذهب، بل تنسب إلى الأصحاب، ويكون تخريج الأصحاب على فقه الإمام هو المذهب بالمعنى الاصطلاحي، والتخريج في كل مذهب يكون على فقه الإمام، ويكون على غيره، ومعلوم أن المخرج على غير فقه الإمام لا يكون مذهباً له.

المذهب في علم النحو: كما ذكرنا سابقاً فقد نشأ مصطلح المذهب في بيئة فقهية، ثم انتقل بعد ذلك إلى البيئة النحوية (علم النحو).

ولم نجد فيما توفر لدينا من مراجع ومصادر تعريفاً للمذهب عند النحاة كما هو مستفاد عند الفقهاء والأصوليين لكننا سنستنبط مما قاله بعض الباحثين المحدثين من أمثال شوقي ضيف وخديجة الحديثي وإبراهيم السامرائي في دراساتهم حول المدارس النحوية. وبالتالي فهو يعني: طائفة من أولي العلم الواحد تعتنق مذهباً نحويًا وتقول برأي نحوي مشترك وتجمعهم وحدة أصوله ومناهج البحث فيه وإن تعددت أوطانهم واختلفت أجناسهم ومهما تنوعت شخصياتهم وتباعدت آراؤهم في الفروع.

وفي هذا يقول إبراهيم السامرائي: "ومن المفيد أن أقول أن كلمة (مذهب وردت في الكلام على الخلاف النحوي فقالوا: مذهب البصريين كما قالوا مذهب الكوفيين ومذهب

⁷ - هيثم هلال: معجم مصطلح الأصول، ص 276.

البغداديين ومذهب غيرهم، وقد تكون كلمة مذهب قد أطلقت على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة كما قالوا مثلاً، ومذهب سيبويه أو كقولهم : ومذهب الأخفش والفراء".⁸

2- المدرسة:

أ- لغة: المدرسة في اللغة اسم مكان يطلق على مكان الدرس، وهو مشتق من الفعل: درس، يدرس، درساً. وهو من دَرَسَ الشيء والرَّسُمَ يَدْرُسُ دُرُوساً عفا ودرسته الريح يتعدى ولا يتعدى ودرسه القوم عَفَّوا أثره والدَّرْسُ أثر الدَّراس وقال أبو الهيثم دَرَسَ الأثرُ يَدْرُسُ دروساً ودرسته الريحُ تَدْرُسُهُ دَرَساً أي محتته. ومن ذلك دَرَسْتُ الثوبَ أدْرُسُهُ دَرَساً فهو مَدْرُوسٌ ودرِّيسٌ أي أَخْلَقْتَهُ ومنه قيل للثوب الخلقِ دريس وكذلك قالوا دَرَسَ البعيرُ إذا جَرَبَ جَرَباً شديداً. ودرست: أي تعلمت، ودرست الكتاب أدرسه درساً أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علي.⁹

ب- اصطلاحاً: فقد عرف المعجم الوسيط مصطلح المدرسة - بهذا المفهوم الجديد - بقوله: "المدرسة جماعة من الفلاسفة والمفكرين أو الباحثين تعتق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك".

وعند المتأخرين تعريفات كثيرة للمدرسة وكلها تدور حول هذا المعنى وسنستعرض فيما يلي بعضها .

وعرف "جوتولد فايل" المدرس بأنها : "الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ويربط العلماء بعضهم ببعض على رأي واحد".

والأستاذ على النجدي ناصف يعرف المدرسة بقوله : "المدرسة طائفة من أولي العلم الواحد أو الفن الواحد تجمعهم وحدة أصوله ومناهج البحث فيه وإن تعددت أوطانهم واختلفت أجناسهم ومهما تنوعت شخصياتهم العلمية وتباعدت آراؤهم في الفروع والتفاصيل".

⁸ - إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية- أسطورة وواقع-، دار الفكر، الإسكندرية، مصر، ط1/ 1987، ص13.

⁹ - ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، مادة (درس)، 79/6.

وعرفها الدكتور أحمد مكي الأنصاري بقوله: "اتجاه له خصائص مميزة ينادي بها فرد أو جماعة من الناس ثم ينادي بها آخرون."¹⁰

على حين يعرفها الدكتور مهدي ال مخزومي بقوله: "فليست المدرسة إلا أستاذًا مؤثرًا وتلاميذ متأثرين وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد نهجوا للوصول إليه منهاجا " قال ذلك في مدرسة الكوفة عند كلامه على الكسائي إذ قال: "إن الكسائي بمنهاجه وأساليبه دراسته مدرسة لها خصائصها ومنهجها فليست المدرسة إلا ... " ثم ساق التعريف.¹¹

وعرف أحمد مختار عمر مصطلح المدرسة في النحو فقال: "... فإن هذا المصطلح يعني في نظرنا: وجود جماعة من النحاة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولا بد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره والدفاع عنه"¹²

3- الاتجاه: مصدر للفعل المزيد (اتَّجِه). اتَّجِهْتُ اتَّجِهْتُ، مصدر اتَّجَاه. اتَّجَّهَ الحارس إليه: قصده، أقبل عليه. اتَّجَّهَ المسافر شمال البلاد: تَوَجَّهَ جهة لم يكن يتجه الاتجاه الصحيح.¹³

الاتجاه: الناحية. وهو الميل الفكري لفكرة أو معتقد أو لمذهب أو مدرسة معينة، واستجابة لها. وجمعه: اتجاهات.¹⁴

وتستعمل كلمة الاتجاه في حياتنا اليومية لتدل على اختيار الجهة التي يريد بها والوجهة التي يرومها سواء كانت في طريقه أو سفره، أو في فكره واعتقاده.

¹⁰ - ينظر: عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993، ص149.

¹¹ - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، أربد، الأردن، ط3/ 2001، ص14

¹² - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ط8/ 2003، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص128

¹³ - معجم المعاني الجامع: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar->

[/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87](https://www.almaany.com/ar/dict/ar-/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87)

¹⁴ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة: <https://www.arabicacademy.gov.eg/ar/%D9%85%D8%AD%D8%B1%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%91%D9%90%D8%AC%D8%A7%D9%87%D9%8F>

ويعرف لالاند مصطلح (attitude) التي ترجمت إلى مصطلح (الاتجاه) في قوله:
"طبيعيا موقع كائن حي اختاره بنفسه أو على الأقل تحدد بموجب استجابات أو ردات فعله
دون إكراه خارجي" ¹⁵ ويقول أيضا: "موقف فكري وإرادي يتخذه فكر ما تجاه مسألة أو
عقيدة" ¹⁶

¹⁵ - أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ص 113.

¹⁶ - المرجع نفسه، ص 113.

المحاضرة الثانية: أسباب ظهور المدارس النحوية.

تمهيد:

إن الباحث في تاريخ نشأة درس النحوي وتشكله في مذاهب أو جماعات أو مدارس النحوية في تسميتها الحديثة، لا يجد هذا مذكوراً عند الدارسين القدامى بشكل مباشر أو صريح ولقد استتبط الدارسون المحدثون هذه الأسباب من تراجم طبقات النحاة واللغويين. ويمكن من تحديد أسباب ظهورها في خمسة أسباب أو عوامل أدت إلى ظهورها:

1- **السبب الأول: العامل الديني** : لقد كان للعامل الديني أثر مباشر وكبير في تكوين شخصية العالم وطالب العلم الذي يريد التفقه في دينه، فقد حثنا ديننا الحنيف على طلب العلم والتعظيم من شأن طالب العلم، وكان للصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان حلق لطلب العلم في شتى الفنون، ومما أثر عن الصحابة، عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فقد كانت له حلقة عظيمة في حجر الكعبة يتوافد إليها الناس، يعلمهم من خلالها أمور دينهم ويفقههم فيه ويعلمهم تفسير القرآن الكريم، وتعليم قراءاته ورواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك عبد الله بن مسعود في الكوفة، وأبو الدرداء في الشام، وأبو موسى الأشعري في البصرة، كلهم كانوا على منهج واحد وطريقة واحدة في تعليم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتفقيه الناس فيهما رضي الله عنهم. فنشأت من خلال هذه المنهجية في التربية والتعليم بيئة علمية صالحة، و نشأ جيل جديد يهتم بالعلم في شتى مناحيه واتجاهاته، وفتحت هذه الطريقة أبواباً عظيمة في التفقه في كتاب الله تعالى وتعليم الناس أمور دينهم.

ويذكر العلماء القدامى أن سبب نشأة النحو العربي إنما كان صونا لكتاب الله تعالى من اللحن والخطأ في قراءته وبالتالي تعلمه وتدبره والتفقه فيه. يقول شوقي ضيف: "يمكن أن نرد أسباب وضع النحو العربي إلى بواعث مختلفة، منها الديني ومنها غير الديني، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً

سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، وكان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى بعض الرواة أنه سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال: "أرشدوا أخاكم؛ فإنه قد ضل"، ورووا أن أحد ولادة عمر بن الخطاب كتب إليه كتاباً به بعض اللحن، فكتب إليه عمر: "أَنْ قَنَّكَ سوطاً"¹⁷.

2- السبب الثاني: النزعة القومية: فقد كان العرب يتعصبون للغتهم ويأنفون أن يصيبها لحن أو عيب أو نقص وفي هذا يقول شوقي ضيف: وانضمت إلى ذلك بواعث أخرى، بعضها قومي عربي، يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازاً شديداً، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم، مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها؛ خوفاً عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية "¹⁸ تعتبر هذه النزعة القومية أحد الأسباب المباشرة في ظهور النحو العربي واهتمام العلماء العرب بنقل اللغة الفصيحة الصحيحة السليمة الخالية من اللحن والحفاظ عليها من الذوبان في اللغات الأعجمية.

3 - السبب الثالث: البيئة الجغرافية: وعلى إثر التأسيس الذي أسسه الصحابة والتابعون لهم من العلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين في بيئاتهم التي أسسوها لنشر العلم وطلبه، فقد كانت تلك المناطق الجغرافية قبلة للعلم والعلماء من شتى أصقاع العالم، من مثل البصرة والكوفة وبغداد ومصر والشام واليمن على غرار مكة والمدينة، حيث حج إليها طلاب العلم من حذب وصوب.

وأما عن الأسباب المتعلقة بالجانب الثاني والذي يخص البعد الجغرافي إنَّ أهم محفل يتلاقى فيه الشعراء والأدباء وعلماء اللغة فضلاً على الباعة والتجار هو السوق ولقد كان لكل من المدينتين سوق نشطة يقصدها أولئك الأصناف الذين تحدثنا عنهم، ومنهم علماء اللغة.

¹⁷ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 11.

¹⁸ - المرجع نفسه، ص 12.

أولاً: سوق المريد: وكانت سوقاً بالبصرة تقع على الجانب الغربي منها يقصدها التجار والشعراء والأدباء والخطباء وأهل اللغة، وكانت نقائص الفرزدق وجريز والأخطل تلقى فيها، إضافة إلى ذلك كان يجتمع فيها اللغويون من أمثال الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء، فيدور بينهم ما يعنّ لهم من نقاش وجدل واستعراض لمعارفهم اللغوية والنحوية

ثانياً: سوق الكناسة: وهي سوق أريد لها أن تكون موازية لسوق المريد بالبصرة وقد كانت الكناسة بالكوفة يرتادها بالإضافة إلى الباعة والتجار والشعراء والأدباء والخطباء علماء اللغة، غير أن المؤرخين لا يضعون هذه السوق في مرتبة سوق المريد بالبصرة لأن الكناسة كان يؤمها كذلك العجم ومن فسدت سليقتهم فكانت أي الكناسة داعياً من دواعي فساد اللغة وليس من دواعي تطورها.

4 - السبب الرابع: العامل السياسي: ويقصد به الحكام والساسة من الخلفاء والأمراء والولاة فقد كانوا يحثون ويشجعون الرعية على طلب العلم والبحث والتنقيب والتأليف ، وهذا في عصري كل من الدولة الأموية والدولة العباسية، فمما أثر في دولة بني أمية أن عمر بن عبد العزيز قرب العلماء وأقصى الشعراء ورغب وحث على التأليف، وكذلك في دولة بني العباس أن الخليفة المنصور كان يعطي من ألف كتاباً وزنه ذهباً.

5- السبب الخامس: العامل الاجتماعي: لقد كان لاختلاط المجتمع وتنوعه أثر مباشر ومشاهد في التنوع الثقافي والعلمي، حيث نجد كل أمة لها ثقافتها وعلمها، فالفرس لها علوم مثل الهندسة والزخرفة والجمال والطبيعيات والروم واليونان لها الفلسفة والمنطق والرياضيات، هذا من جهة و من جهة أخرى نجد أن هذه الأمم التي دخلت في الإسلام تحتاج من العلماء العرب تعليمهم لغتهم ودينهم فكان لزاماً على العلماء القيام بهذه المهمة النيلة في تعليم الأمم غير العربية أمور لغتها ودينها . وفي هذا يقول شوقي ضيف عن حاجة الأعاجم لمن دخلوا الإسلام أو خالطوا المسلمين إلى من يرسم لها معالم العربية وتعلمها: " وبجانب ذلك كانت هناك بواعث اجتماعية ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة لمن يرسم

لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلاً مستقيماً، وتتقن النطق بأساليبها نطقاً سليماً¹⁹.

6- السبب السادس: العامل النفسي والعصبية المذهبية: فإننا نجد فن المناظرات كان

سبباً قوياً في تبلور فكرة المدرسة النحوية ولعل أشهر هذه المناظرات مناظرة سيبويه مع الكسائي، وهي المعروفة ب: (المسألة الزنبورية). ومختصرها أن سيبويه تآقت نفسه إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية يومذاك فلما وصل إليها وهو من هو في مراتب النحاة البصريين حل بمجلس فأراد الحاضرون أن يدفعوه إلى مناظرة بينه وبين الكسائي رائد المدرسة الكوفية فقال الكسائي لسيبويه كيف تقول: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها. فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لحننت، وعقدت مسائل أخرى شبيهة فلم يجز سيبويه النصب، فاحتكم إلى الوافدين على باب الخلافة وكانوا يعلمون مكانة الكسائي لدى العباسيين فارتضوا رأيه، فخرج سيبويه منكسراً من بغداد²⁰.

ونذكر مناظرة ثانية في حضرة هارون الرشيد الخليفة العباسي وقعت بين الكسائي وأحد تلاميذ سيبويه وهو يحيى بن المبارك اليزيدي، وقد تكون هذه المناظرة ثأراً من اليزيدي لأستاذه سيبويه عما جرى له في المسألة الزنبورية، وكذلك الأصمعي، وموجز هذه المناظرة التي دارت بين اليزيدي والكسائي أن اليزيدي قال للكسائي أتجيز هذين البيتين؟: (من مجزوء الرمل)

ما رأينا خرباً نقُ * (م) قَر عنه البيض صقُرُ
لا يكون العير مُهراً لا يكون المُهَرُّ مُهَرُّ

¹⁹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 13.

²⁰ - الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والنحويين البصريين، المكتبة العصرية، ط 1 / 2003م، 576/2

فأجاب الكسائي أجيزه على إقواء، لأن حقه أن يقال هكذا: لا يكون مُهْرٌ مُهْرًا، فقال له اليزيدي: لقد لحت، لا يجوز: لا يكون المُهْرُ مُهْرًا، وقراءة الرفع صواب وتوجيهها هو: (لا يكون) تأكيد لفظي والمهر مهر مبتدأ وخبر.²¹

ونكتفي بهاتين المناظرتين لأن المقام ليس مقام المناظرات إنما هو مقام الاستدلال بأن هذه المناظرات كانت سبباً في ظهور هذه المدارس النحوية، وأنت ترى كيف أن هذه المناظرات بين علماء القطرين البصرة والكوفة من شأنهما أن توجب نوازع الخلاف بين علماء النحو من جهة وبين مريديهم وتلاميذهم من جهة ثانية.

7- السبب السابع: رقي العقل العربي: شهد العقل العربي تطوراً بعد دخول العرب في الإسلام وتعلم شرائعه والتفقه في كتاب الله تعالى. فلقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل. وأثر عن علي بن أبي طالب كذلك قوله: "تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة". فمن خلال هذا نستنتج أن العربية تزيد في العقل والأخلاق. ويقول شوقي ضيف: " وكل ذلك معناه أن بواعث متشابكة دفعت دفعا إلى التفكير في وضع النحو، ولا بد أن نضيف إلى ذلك رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نمواً أعده للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلاً تطرد فيه القواعد وتتنظم الأقيسة انتظاماً يهيئ لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة، ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية"²².

فكل هذه العوامل متضافرة ومجتمعة شكلت بيئة صالحة ومناسبة لنشأة النحو العربي ومدارسه. فساهمت كلها وتركت أثراً جلياً في نفوس النحاة ومناهج مدارسهم ومذاهبهم النحوية.

²¹ - سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو العربي، مكتبة الفلاح، (د-ط)، (د-ت)، ص 55

²² - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 12-13.

المحاضرة الثالثة: مصادر المدارس النحوية

تمهيد:

انطلق النحاة الأوائل من أمثال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر النخعي والخليل بن أحمد الفراهيدي والكسائي في دراساتهم للنحو وبناء قواعده من مصادر راسخة وأصول ثابتة تمثل الوعاء الحاوي للغة العربية قرآنها وسنتها، وشعرها ونثرها.

1- القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي بوساطة جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المحفوظ في الصدور والسطور، المدون في المصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. وهو المصدر الأول لكل العلوم الشرعية واللغوية على السواء، فهو المصدر المصادر كلها وأصل الأصول أجمعها الأصديق قولاً والأحسن بياناً والأصح نقلاً ورواية اطمئن إليه العلماء والنحاة قاطبة في استنباط قواعدهم وتحقيق أصولهم لأنه [أي القرآن الكريم]، محفوظ في الصدور والسطور، وقد تواتر نقله عن طريق رواياته على مرّ الزمان، كما أنه كان مطلب اهتمام الدارسين وكتابتهم منذ فجر نزوله.

ولقد اهتم الصحابة رضوان عليهم ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم بالقرآن الكريم اهتماماً بالغاً، دراسة وحفظاً وفقهاً وتعليماً، فجمعوه في عهد خليفة رسول الله صلى الله عليه

وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعد حادثة قتل القراء في معركة اليمامة المشهورة²³، ونُسِخ إلى خمس نسخ على الأرجح في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه لما بلغ الاختلاف في قراءة القرآن الكريم حداً أصبح المسلمون يتنازعون فيما بينهم وكادوا يتقاتلون في تفضيل قراءة على أخرى، وكان هذا في فتح أذربيجان بقيادة حذيفة بن اليمان، ونُقِط وأُعجمت حروفه في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع تلميذه أبي الأسود الدؤلي، وضُبُطت حركاته وأُعجمت حروفه بالطريقة التي عليها اليوم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم توالى اهتمام العلماء به فأصبح حجة في الاحتجاج به وبقرائاته المختلفة متواترة كانت أو شاذة²⁴.

وإذا تتبعنا استشهاد النحاة بالقرآن الكريم وجدناهم يفردون الشواهد من القرآن في مسألة ما، أو إنهم يقرنونها بما ورد عن العرب من شعر أو نثر، وهذا الأغلب. مبتدئين حيناً بالقرآن، وحيناً بالشعر أو النثر، وحيناً بأمثلة يقتبسونها على ما صح عن العرب، وليس وراء ذلك توثيق للنص القرآني؛ فهم كثيراً ما يوردون الآيات دون ذكر سورها، ورقمها، وأحياناً لا يقدمون لها بما يدل على أنها كلام الله تعالى، ولا يذكرون كثيراً نص الآية كله. بل يكتفون بموضع الشاهد منها فحسب، وفي الكتاب لسيبويه نماذج مما ذكرناه تبين منهجه من الاستشهاد بالقرآن باعتباره إمام النحاة، وأكثرهم اتبع منهجه ذاك²⁵.

وقد بنى البصريون كثيراً من أصولهم على نصوص قرآنية. وقد أحصى فتحي عبد الفتاح الدجني ما استشده به سيبويه في كتابه "الكتاب"، فوجده قد استشده بآيات من جميع سور القرآن ما عدا سورتين هما الدخان والحجرات، وكان مجمل ما استشده به هو أربع مائة

²³ - ينظر: صحيح البخاري رقم الحديث: 4701، باب جمع القرآن: 1907/4

²⁴ - ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر 5/1

²⁵ - ينظر: خديجة الحديثي: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطابع مقهوي، الكويت، ط/ 1974م، ص 32 - 41.

وثلاث وعشرون (423) آية قرآنية أحسن اختيارها للتدليل بها على قواعد النحو وقوانينه، إو على طرق التعبير وأساليبه المتبعة²⁶.

وقد نهج النحاة البصريون نهج سيبويه بالاستشهاد بلغة القرآن الكريم والاستنباط منه ما فات الأسلاف من قواعد، أو تصحيح ما سبقوا إليه من أصول ومن هؤلاء الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، فقد توصل إلى بعض القواعد التي انفرد بها عن جماعة البصريين مستعينا بآيات من القرآن الكريم. ومن ذلك: إجازته زيادة (من) في الإيجاب محتجا بقوله تعالى: ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۖ ﴾ (البقرة: 271)، وقوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ ﴾ (نوح: 04)، وإجازته زيادة الواو محتجا بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر: 73)²⁷.

2- القراءات القرآنية:

أ- تعريفها:

القراءات القرآنية كما عرفها ابن الجزري هي: كيفية أداء كلمات القرآن معزوا إلى

نقلته²⁸.

ويعرف محمد سالم محيسن القراءات: "بأنها علم بكيفيات أداء كلمات القرآن و

اختلافها من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو النقلة."²⁹

²⁶ - ينظر: الدجني، فتحي عبد الفتاح: أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة، 199.

²⁷ - ينظر: عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، ص 176.

²⁸ - ابن الجزري، التمهيد، ص 09، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1999.

²⁹ - محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية ص 66، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

ويعرف القسطلاني القراءات: "بأنه علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة و الإعراب، والحذف و الإثبات، و التحريك و الإسكان، و الفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق و الإبدال من حيث السماع."³⁰

وذهب عبد الهادي الفضلي إلى أنها: " النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم، أو كما نطقت أمامه فأقرأها."³¹

ب- أركان القراءة الصحيحة:

لقد وضع العلماء أركاناً وشروطاً للقراءة الصحيحة التي يجب قراءة القرآن الكريم بها وهي ما توافرت فيها الأركان الثلاثة المعروفة لدى القراء، وهي:

- صحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- موافقة رسم المصحف.

- موافقة العربية ولو بوجه من وجوهها.

وأول من أشار إلى هذا الضابط هو أبو جعفر الطبري، ثم الحسين بن أحمد بن خالويه، ثم مكي بن أبي طالب القيسي، ثم أبو العباس أحمد بن عمار المهدي، ثم أبو عمرو الداني، ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، ثم أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري³². قال ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها"³³.

³⁰ - القسطلاني، شهاب الدين: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (لجنة إحياء التراث الإسلامي) 1392هـ، 1/170.

³¹ - عبد الهادي الفضلي: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ص63.

³² - ياسين جاسم المحميد: تلحين النحويين للقراء، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/ 1426هـ، ص7.

³³ - ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، (د-ت)، 9/1.

وقد نظمها ابن الجزري في طيبة النشر بقوله:
 وكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي
 وصح إسناداً هو القرآن ... من هذه الثلاثة الأركان
 وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة³⁴.

ج- الفرق بين القرآن والقراءة:

يرى الزركشي أن هناك فرقاً بين القراءة والقرآن، وأنهما حقيقتان متغايرتان، حيث يقول: "اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - للبيان والإعجاز. والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتثقيل، وغيرهما. ولا بد من التلقي والمشاهدة، لأن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع"³⁵.

د- احتجاج النحاة بالقراءات القرآنية:

لقد احتج النحاة عامة بالقراءات القرآنية كما احتجوا بكلام العرب شعره ونثره، فلا يوجد كتاب من كتب النحو المعتمدة إلا واستدل بالقراءات القرآنية. فأما نحاة البصرة فإنهم احتجوا بالقراءات القرآنية، لكنهم لم يتوسعوا فيها كثيراً مثلما فعل نحاة الكوفة، وقد قبلوا من ذلك بلقراءات المتواترة، وذلك راجع إلى المنهج الذي وضعوه والمعايير المتضمنة فيه في الأخذ والاحتجاج والاستشهاد بالمادة اللغوية، مشددين في ذلك، إذ قبلوا من اللغة ما كان فصيحاً صحيحاً متواتراً ومطرداً ومشهوراً.

³⁴- ابن الجزري، أحمد بن محمد بن محمد بن علي، شرح طيبة النشر، تحقيق: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، ط1/ 1369هـ - 1950م، ص5.

³⁵- الزركشي، بدر الدين، مقدمة البرهان في علوم القرآن، 1/ 5- 13.

لقد كان الجيل الأول من النحاة البصريين يرون أن القراءة سنة متبعة لا يصح التعرض لها بتخطئة أو تصويب. فقد أثر عن الأصمعي قوله: "سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا وكذا".³⁶ وهذا سيبويه رحمه الله لم يعب قارئاً، ولم يخطيء قراءة، بل كان يذكرها ليبين وجهها من الوجوه العربية، ويقوي ما ورد عن العرب؛ لأنه يرى أن اللغات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة، وإن قلّ من يتكلم بها. يقول: "وأما قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: 49) فإنما هو على قوله: زيذا ضربته، وهو عربي كثير. وقد قرأ بعضهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (فصلت: 16) إلا أن القراءة لا تخالف؛ لأن القراءة السنة"³⁷.

أما الكوفيون فقد قبلوا كل القراءات ما كان منها متواتراً وما كان شاذاً لأن مذهبهم مبني على التوسع في قبول الرواية، والترخص في الاعتماد على الشواهد ولم يكونوا مثل البصريين الذين خطأوا بعض القراءات ورفضوها وردوها وضعفوها. ولقد اهتموا بالقرآن الكريم وقراءاته اهتماماً بالغاً، فقد كان منهم ثلاثة قراء ممن تواترت قراءاتهم، وهم: عاصم بن أبي النجود، وعلي بن حمزة الكسائي، وحمزة الزيات. كما اعتبر الفراء الذي كانت له عناية بالقرآن الكريم وتفسيره وقراءاته اعتناء بالغ الأهمية. فقد كان كتابه "معاني القرآن"، واحداً من الكتب التي عنيت بالقرآن الكريم ومرجعاً مهماً من مراجع تفسيره ومعانيه، بالإضافة إلى أنه المصدر الأساس للنحو الكوفي أصولاً وفروعاً. وقد قال في أهمية المصدر القرآني في النحو العربي: "القرآن أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"³⁸. فنحاة الكوفة على عكس نحاة البصرة فهم يستشهدون بالقراءات القرآنية متواترها

³⁶ - ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي: السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2/ 1400هـ، ص48.

³⁷ - سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3/ 1408هـ-1988م، 148/1.

³⁸ - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط1/ د-ت، 14/1.

وشاذها ويحتجون بها. يقول مهدي المخزومي: "القراءات المختلفة وإن شذت في نظر نحاة البصرة يستشهد بها ويصوّب بها ويحتج بها"³⁹. وهذا راجع إلى المنهج الذي سلكه نحاة الكوفة في تعييدهم القواعد النحوية واتساعهم في الاحتجاج والاستشهاد بالكلام العربي على اختلاف مراتبه ومستوياته.

3- الشعر الجاهلي والإسلامي:

لقد كانت البصرة أسبق إلى النحو من الكوفة بنحو قرن أو يزيد، وأن نشأة النحو وتأسيس قواعده كان بالبصرة وأن شيخ البصريين الخليل بن أحمد الفراهيدي قد تتلمذ على يديه عالمان من أعلام البصرة والكوفة هما سيبويه ومنظر النحو البصري بمؤلفه: (الكتاب) والكسائي زعيم الكوفيين صاحب النحو وإمام القراء.

ومعلوم أن هذا العلم انتقل من البصرة إلى الكوفة من خلال رحلات طلاب النحو إلى البصرة وعودتهم إلى مدينتهم الكوفة بهذا العلم، فالكوفة مدينة للبصرة بمعظم مصادر دراستها في مجال النحو.

غير أنه من المفيد أن تعرف أن الكوفيين لم يأخذوا ما تعلموه من البصريين قلباً وقالباً إنما تصرفوا فيه بالزيادة والنقص والتحويل والتأويل ينشدون في كل ذلك مقام التميز ويرنون إلى مراتب الإبداع والسبق.

لقد اعتبر البصريون الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي مصدراً من مصادر الاحتجاج، ورأوا أنهما أصدق النصوص بعد القرآن الكريم لنقاوتهما من الدخيل الأجنبي، وخلوهما مما يعكر صفو السليقة اللغوية التي يتمتع بها أولئك الشعراء في هذين العصرين، كما أن البصريين مدّوا حبل الاستشهاد وأوصلوه إلى شعراء بني أمية جرير والفرزدق والأخطل، وقبلوا الاستشهاد بشعر روبة بن العجاج وأبي النجم وبشار بن برد، وتوقفوا عند الشاعر إبراهيم بن هرمة الذي عمر طويلاً إذ تجاوز النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فهو عندهم آخر من يستشهد به من الشعراء.

³⁹ - المخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، ص 140-143.

ونرى سيبويه في كتابه اعتمد كثيرا على الشعر فقد بلغ ما استشهد به ما يقارب خمسين وألف (1050) شاهد، وبلغت شواهد الضرورات ما يقرب من أربعة وسبعين ومائة (174) شاهد . كما أورد أبياتا كثيرة على أنها قليلة أو شاذة أو لغة. وكان يقول : "وهذا في الشعر كثير"⁴⁰، و "هذا في الشعر أكثر من أن أحصيه لك"⁴¹، أو ، "وذلك لأنهم استعملوها كثيرا في الشعر"⁴²، أو "مثل ذلك في الشعر كثير"⁴³.

واستشهد بشعر شعراء ينتمون إلى ست وعشرين (26) قبيلة من قبائل العرب. وقد بلغ عدد هؤلاء الشعراء ما يقرب من (236) شاعر، وهؤلاء الشعراء من شعراء عصور الاحتجاج⁴⁴.

أما المبرد فقد بلغت شواهد الشعريّة في كتابه أخذ "المقتضب"، ما يقرب من واحد وستين وخمسمائة (561) شاهد أخذ عن سيبويه منها ثمانين وثلاثمائة (380) شاهد⁴⁵.

لقد وافق الكوفيون البصريين في قبول الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي و أضافوا إليه ما كان يرويه كل من خلف الأحمر وحمام الراوية، وتوسع الكوفيون في قبول الشواهد الشعريّة، فقد قبلوا البيت المجهول القائل وبنوا بعض قواعدهم على البيت الواحد، وقد ثبت أن خلفا الأحمر كان يصنع الأبيات ويقدمها للكوفيين فيقبلونها ويضعونها شواهد على قواعد لهم.

وأهل الكوفة كانوا أحفظ للشعر العربي من أهل البصرة فقد روي عن علي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي أنه كان يحفظ أكثر من أربعين ألف (40000) شاهد، والمفضل الضبي الذي كان راوية الشعر. لكن رواة الكوفة لم يكونوا أضبط للرواية. جاء في مراتب

⁴⁰ - سيبويه: الكتاب، 1/196.

⁴¹ - المصدر نفسه: 2/45.

⁴² - المصدر نفسه: 2/251.

⁴³ - المصدر نفسه: 2/227.

⁴⁴ - ينظر: عيد الله الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، ص 196.

⁴⁵ - ينظر: المرجع السابق، ص 197.

النحويين: "والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع، ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين في دواوينهم"⁴⁶

4- العرب الفصحاء:

رفض البصريون الأخذ عن أهل الحضر لأن ألسنتهم مظنة التأثر بألسنة الأعاجم فسافروا إلى بوادي وقبائل العرب الموعلة في الانعزال يأخذون عنها والتي بقيت لغتهم سليقية فصيحة لم تشبها شائبة اللحن والاختلاط بالأجناس الأخرى غير العربية. فقد أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي عن القبائل في بوادي نجد وتهامة والحجاز، وكذلك فعل يونس بن حبيب. وهذا التشدد في الانتقاء اللغوي والتحري عن أصول السلامة اللغوية كان جلياً في كتاب سيبويه، إذ تجافى كل شاهد فيه مظنة الانتحال أو الافتعال. وكان أهم الشعراء الذين استشهد بشعرهم بحسب كثرة شواهدهم عندهم: الفرزدق وجريز، فالأعشى ورؤية والعجاج، فذو الرمة، فالنابغة الذباني، والبعيث، ولقيط بن زرارمة وغيرهم كثير من قبيلة تميم. ثم تأتي القبائل الأخرى، كغطفان، وهذيل ومنهم أبو ذؤيب الهذلي، وأبو كبير الهذلي، وساعدة بن جؤية، وقبائل طيء ومنهم أبو زيد الطائي، وحاتم الطائي، وعامر بن جون، وقبائل أسد ومنهم عبد الله بن الزبير، وبشر بن أبي حازم، وأقيشر الأسدي، وعبيد بن الأبرص، والكميت بن زيد.

وهناك شعراء كان حظهم قليلاً في كتابه. وهم مخضرمو الدولتين الأموية والعباسية، كابن ميادة (ت 136هـ)، وأبي حية النميري (ت 158هـ)، وأبي نخيلة (ت 148هـ)، وابن هرمة (ت 176هـ)

كما احتج بشعراء القبائل التي تسكن الحاضرة، مثل قريش ومنهم عمر بن أبي ربيعة، وعبد الله بن قيس الرقيات، والأوس والخزرج فاحتج بابن الجلاح، وحسان بن ثابت، وقيس بن الخطيم⁴⁷.

⁴⁶ - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص 116.

⁴⁷ - ينظر: عبد الله الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي ص 197.

فهذا دليل يؤكد اعتماد البصريين في شواهدهم على أهل البادية العرب الخلس . كما أنهم كانوا يفتخرون على الكوفيين لأنهم يأخذون عن أهل الحضر الذين لوثت لغتهم عادية اللحن عند الأعاجم من فرس وروم، فقال البصريون: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوايز وباعة الكواميخ⁴⁸.

لقد أخذ الكوفيون بالشواهد اللغوية التي احتج بها البصريون و اعتمدوها و نقلوها عن القبائل العربية الموعلة في البداوة مثل قيس وتميم وهذيل، كما أخذ الكوفيون عن جزء من بني كنانة وبني طيء، وهذه المرونة كما ترى خالصة من شوائب التأثير بالأجنبي لأنها لهجات أهل البوادي والأرياف.

كما أخذ الكوفيون بلهجات القبائل العربية المتاخمة للكوفة كبعض أفخاذ قبيلة تميم وأسد ونزار، وقبائل أخرى جاورت بغداد كأعراب الحليمات الذين ظاهروا الكسائي على سبويه في المسألة الزنبورية، وكان الفضل في هذا الجمع للكسائي الذي خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة يجمع ما لم يتمكن البصريون من جمعه.

وهناك مسألة لابد من الإشارة إليها وهي أن الكوفيين لم يكونوا يقبلون كل ما يرفضه البصريون، بل إن الكوفيين اطرحوا لهجات اتسمت بالميوعة اللغوية والبعد عن القياس العربي، من ذلك ما يعرف بعننة قضاة وقيس وتميم، وفحفة هذيل، وعجعة قضاة، وكشكشة ربيعة.

5- لغات العرب وحكمهم وأمثالهم:

لا تخلو الأمم من الأمثال والحكم، والمثل هو قول قصير مجهول القائل غالباً يجري على الألسن بغية إصلاح الناس وتوجيههم إلى دروب السلامة وأسباب النجاح، ويعد العرب من الأمم التي كثرت أمثالها وحكمها فكان موقف البصريين أن قبلوا هذه الأمثال والحكم مصادر لمدونتهم من الشواهد لأن هذه الأمثال والحكم وإن كانت مجهولة القائل غالباً غير أنها امتازت بالتكرار والتواتر، ومن بين ذلك: الصيف ضيعت اللبن، رجع بخفي حنين.

⁴⁸ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص160.

لقد أخذ الكوفيون بالشواهد اللغوية التي احتج بها البصريون و اعتمدوها و نقلوها عن القبائل العربية الموغلة في البداوة مثل قيس وتميم وهذيل، كما أخذ الكوفيون عن جزء من بني كنانة وبني طيء، وهذه المرونة كما ترى خالصة من شوائب التأثير بالأجنبي لأنها لهجات أهل البوادي والأرياف.

كما أخذ الكوفيون بلهجات القبائل العربية المتاخمة للكوفة كبعض أفخاذ قبيلة تميم وأسد ونزار، وقبائل أخرى جاورت بغداد كأعراب الحليمات الذين ظاهروا الكسائي على سيبويه في المسألة الزنبورية، وكان الفضل في هذا الجمع للكسائي الذي خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة يجمع ما لم يتمكن البصريون من جمعه.

وهناك مسألة لابد من الإشارة إليها وهي أن الكوفيين لم يكونوا يقبلون كل ما يرفضه البصريون، بل إن الكوفيين اطرحوا لهجات اتسمت بالميوعة اللغوية والبعد عن القياس العربي، من ذلك ما يعرف بعننة قضاة وقيس وتميم، وفحفة هذيل، وعجعة قضاة، وكشكشة ربيعة.

الحديث النبوي الشريف:

وأما الحديث النبوي الشريف، فإن أوائل النحاة البصريين لم يستشهدوا به ولم يتخذ مصدرًا للقواعد النحوية وتبعهم في ذلك النحاة الكوفيون . وقد عدّ ابن الصائغ فيما رقله عنه السيوطي أنّ ذلك كان بسبب رواية بالمعنى، وأن المشتغلين به هم من الأعاجم، ولا بد من الإشارة إلى أنه ليس كل البصريين رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي، فمنهم من أكثر الاستشهاد به وفي مقدمتهم محمد بن مالك الأندلسي.

وفي هذه المسألة لابد من التنويه إلى أن موقف البصريين من الاستشهاد بالحديث النبوي، قد قوبل بالرفض من قبل كثير من الدارسين خاصة المحدثين منهم، و الذين استهجنا عدم قبول البصريين الحديث النبوي مصدرًا من مصادر التقعيد النحوي، وردوا عليهم بأن علماء الحديث قد وضعوا منهجًا دقيقًا في قبول الرواية واتخذوا علمًا جديدًا يُعد من أدق المناهج إلى العصر الحديث وهو ما يعرف بعلم: (الجرح والتعديل).

6- النحو البصري:

سمع الكوفيون نحو البصريين وتعلموا على أعلامهم أمثال: عيسى بن عمر والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب والأخفش، كما حضر الكوفيون مجالس البصريين وندواتهم في علم النحو وأخذوا عنهم كتاب سيبويه تلقينًا وشرحًا، وانطلق الكوفيون من هذا المصدر البصري يبنون لمذهبهم صريحًا جديدًا.

المحاضرة الرابعة: مناهج المدارس النحوية العربية .

تمهيد:

تميزت كل من مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة بخصائص ومميزات جعلت كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى بما اتصفت به ، فكانت لكل منهما منهج خاص، من ذلك طريقة جمع الشواهد اللغوية وصياغة المصطلح العلمي وتقعيد القواعد النحوية ومع كل هذا هناك رابط مشترك لا يمكن أن تتفرد به مدرسة عن أخرى هو رابط الدرس النحوي والبحث في موضوعاته لهذا السبب يمكن لنا أن نقف على المناهج المشتركة بين هذه المدارس التي اعتمدت من قبل الدارسين، وإن كنا سنتعرض لمنهج كل مدرسة على حدة في قابل المحاضرات، ولكن واحتراما للبرنامج الأكاديمي المقرر لا مانع من بلورة أهم الخصائص المتعلقة بمناهج المدارس النحوية فيما يلي:

1- السماع:

عرف السيوطي السماع بأنه: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل هذا كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وهو أفصح كلام وأبلغه، وكلام نبيه -صلى الله عليه وسلم- وهو الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظمًا ونثرًا من مسلم أو كافر . فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من

الثبوت: أما القرآن الكريم فكل ما ورد أنه قُرئ به؛ جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً⁴⁹، فالقرآن الكريم -كما قيل- فوق النحو، والفقه، والمذاهب كلها، فهو الأصل الأصول، ما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مردودٌ ومردولٌ، وذلك أن لغة القرآن الكريم هي أفصح أساليب العربية على الإطلاق، وأن الكتاب أعربٌ وأقوى من الشعر، كما قال الفراء -رحمه الله تعالى.

والسماع هو: "الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها"⁵⁰. ويقصد به أن اللغوي قد قام بنفسه بعملية الجمع فسمع مباشرة من القبيلة التي يريد تأصيل اللغة منها، وأنه لم ينقل له شخص آخر هذه اللغة، ولقد اعتمد كل من البصريين والكوفيين استقراء اللغة المسموعة، فكما أخذ الخليل بن أحمد البصري اللغة سماعاً عن أهل البادية، فعل علي بن حمزة الكسائي الكوفي كذلك فعل الخليل فرحل إلى البادية وأخذ اللغة عن أهلها سماعاً وقد أنفق ما يربو عن خمسة عشر قنينة حبر.

يقول شوقي ضيف: "والسماع عنده إنما يعني نبعين كبيرين؛ نبع النقل عن القراء للذكر الحكيم وكان هو نفسه من قرائه وحَمَلْتَه، ونبع الأخذ عن أفواه العرب الخُص الذين يوثق بفصاحتهم، ومن أجل ذلك رحل إلى مواطنهم في الجزيرة يحدثهم ويشافهم ويأخذ عنهم الشعر واللغة، ويروى أن الكسائي سأله وقد بهره كثرة ما يحفظ: من أين أخذت علمك هذا؟ فأجابه: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة"⁵¹.

ويورد سيبويه كثيراً من النصوص التي يبدأها بقوله: "وزعم الخليل... وسمعناه من العرب"⁵²، أو يذكر ظاهرة لغوية ثم يقول: "وهذا شيء لم يأت إلا في شعر أو ما يلحق

⁴⁹ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2/ 1437هـ-2006م، ص39.

⁵⁰ - علي أبو المكارم، أصو التفكير النحوي، ص33

⁵¹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص46.

⁵² - سيبويه: الكتاب، 2/ 85، 2/ 108، 3/ 620.

بالشعر، ولم نسمعه من العرب كثيراً⁵³. وإذا كان في موضع استدلال على ظاهرة نحوية أو صرفية يقول: "وإنما قالوا ذلك لأنهم سمعوا العرب تقول... فجرى هذا مجرى ما سمعوه منهم، على غير قياس في هذا الباب".

والسماع طريق مهم اعتمد عليه النحاة كثيراً في جمع المادة اللغوية ثم تحليلها. وعناية البصريين باستقراء المادة اللغوية المسموعة لا يقل عن اهتمام نظرائهم الكوفيين. فأبو عمرو بن العلاء يأخذ عن أبي يعقوب، كما يأخذ عن الأعراب كثيراً، معروفين كأبي المهدى والمنتجع التميمي معروفين أيضاً. وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب يأخذان عن العرب كما روى سيبويه في أكثر من موضع من كتابه. ومثلهما أبو الخطاب الأخفش الذي يسمع من قبائل مختلفة، كبنی سليم وغيرهم وكذلك الخليل الذي يقرر سيبويه أنه رأى بعض ما سمعه مدونا في عشرين رطلاً. وسيبويه نفسه يسمع من كثير من النحاة واللغويين والأعراب كالخليل وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري (٢٥) ، وأبي فقعس وأبي دثار وأبي الجراح وأبي ثروان. كما يسمع من غير هؤلاء ممن لم يصرح باسمه⁵⁴.

وإذا التفتنا إلى الكوفة فإننا نجد مؤسسها علي بن حمزة الكسائي قد جمع بين طريقين: طريق القراء باعتباره قارئاً من القراء الذين تواترت قراءاتهم، وطريق نحاة البصرة الذين تتلمذ على أيديهم: عيسى بن عمر والخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب، وفي هذا يقول المخزومي: " فقد اجتذبت الكسائي إذن طريقتان مختلفتان : طريقة القراء، التي تجعل من النقل سبيلها الوحيدة إلى العلم، لأن القراءة سنة متبعة، ولأن أئمة القراء لا يعملون في شيء من حروف القرآن على الألفى والأقيس، بل على الأثبت والأصح في النقل .. وطريقة النحويين البصريين التي تجعل من العقل أيضاً سبيلاً إلى العلم، وقد تأثرت بها عقليته عن

⁵³ - سيبويه: الكتاب، 72/1.

⁵⁴ - ينظر: علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص 34.

طريق تلمذته للخليل⁵⁵. فالسماع عند الكوفيين تأسس من خلال منهج الكسائي في الأخذ بالمادة المسموعة فقد أورد اللغوي البصري أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري: "قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وعن يونس بن حبيب وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا، ثم خرج إلى بغداد، وقد لقي أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئا فاسدا فخلط هذا بذلك فأفسده"⁵⁶.

وقال ياقوت الحموي معجم الأدباء: "وقدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهم فأخذ عنهم نحوا كثيرا، ثم سار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن فأفسد بذلك النحو ما كان أخذه بالبصرة كله"⁵⁷.

وجاء في بغية الوعاة للسيوطي: "كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه فأفسد بذلك النحو"⁵⁸.

وقال عنه أبو حاتم السجستاني: "وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل إلا حكايات عن الأعراب مطروحة؛ لأنه كان يلقنهم ما يريد واتهمه عيسى ابن عمر أنه يأتي بكلام ليس بكلام العرب"⁵⁹.

فمن خلال هذه الروايات نرى جليا أن الكسائي قد وضع للنحاة الكوفيين منهجا في السماع يجمع فيه طريقة البصريين في الأخذ بالسماع مع الترخص والتوسع في الأخذ عن العرب الذين لم يتصفوا بالفصاحة وسلامة اللغة وصفائها.

⁵⁵ - مهدي المخزومي: مدرسة البصرة ومنهجها في اللغة والنحو، ص 369.

⁵⁶ - الأنصاري، أبو زيد: أخبار النحويين البصريين، ص 99

⁵⁷ - ياقوت الحموي: معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 /

1414 هـ - 1993 م، 4 / 1744

⁵⁸ - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان /

صيدا، (د - ت) 2 / 164.

⁵⁹ - الزبيدي، أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، ص 42.

ووجه الفرق بين سماع البصريين وسماع الكوفيين أن البصريين ينشدون في سماعهم الكثرة والتكرار ومعرفة القائل، ووضعوا من خلال ذلك حدودا زمانية ومكانية للاستشهاد بالمادة المسموعة عن العرب. في حين يعتمد الكوفيون في سماعهم على الترخص والإباحة فقد يقبلون الشاهد الواحد، والمجهول القائل.

2- القياس:

يعرف ابن الأنباري القياس فيقول: "حمل أصل على فرع بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع"⁶⁰.

ومعنى قول ابن الأنباري أن القياس عملية ذهنية يقوم بها دارس اللغة فيطلق حكم المسموع منها على الجديد المستحدث منها، كصوغ اسم الفاعل من كل فعل ثلاثي على وزن (فعل) شعر، شاعر فليس كل أسماء الفاعلين مسموعة من العرب الفصحاء، فجاز أن يقاس على ما سمع ولا غضاضة في ذلك يقول ابن جني: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"⁶¹.

ويقول الأنباري:

ولابد لكل قياس من أربعة أشياء "أصل، وفرع، وعلة، وحكم". وضرب مثلا لذلك فقال: "وذلك مثل أن تركيب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يُسمَّ فاعله فنقول: "اسم أسند الفعل إليه، مقدما عليه فوجب أن يكون مرفوعاً، قياسا على الفاعل"، فالأصل هو الفاعل، والفرع ما يسم فاعله، والعلة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع، والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل، وإنما أجرى على الفرع الذي هو ما لم يسمَّ فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد"⁶².

⁶⁰ - ابن الأنباري، أبو البركات: لمع الأدلة في أصول النحو، ص93

⁶¹ - ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/د-ت، 1/358.

⁶² - الأنباري، أبو البركات: لمع الأدلة، ص93.

وعلى هذا فالقياس يستدعى أربعة أركان لا بد لكل قياس منها: أصل: وهو المقيس عليه، وفرع: وهو المقيس، وحكم: وهو ما يسرى على المقيس مما هو في المقيس عليه، وعلة جامعة: وهو ما قدره النحويون من أسباب استحق بموجبها حكم المقيس عليه. ولقد كان القياس منهجاً مستعملاً من كلتا المدرستين فأول النحو كان قياساً فلقد قيل عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو من أوائل النحاة أنه "أول من بعج النحو ومد القياس"⁶³.

ولقد كان القياس عند سيبويه كثيراً مناطه شيوع الاستعمال وكثرة الاطراد، ويقول في ذلك الدكتور شوقي ضيف: "وطبيعي أن يكثر القياس في كتاب سيبويه كثرة مفرطة لأنه الأساس الذي يقوم عليه وضع القواعد النحوية والصرفية واطرادها هو يعتمد عنده في أكثر الأمر على الشائع في الاستعمال على ألسنة العرب"⁶⁴.

ومن ذلك أنه كان يرى أن القياس في عطف المعرّف بالألف واللام على المنادى المرفوع أن يكون مرفوعاً؛ لأنه لو كان هو المنادى لتقدمته أي مثك: يا أيها الحارث ورُفع معها صفة لها؛ لأنها مبهمة يلزمها التفسير، فصارت هي والحارث بمنزلة اسم واحد كأنك قلت: يا حارث، وبذلك يكون القياس في مثل: يا زيد والحارثُ الضم، يقول سيبويه: "قال الخليل: من قال: يا زيد والنضر فنصب، فإنما نصب لأن هذا كان من المواضع التي يُردّ فيها الشيء إلى أصله" أي: إذا كان المعطوف مضافاً "فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون: يا زيد والنضر، وقرأ الأعرج: يا جبال أوبي معه والطيرُ" فرفع، ويقولون: يا عمرو والحارث. وأما مؤسس المذهب الكوفي علي بن حمزة الكسائي كان عماده القياس ومما نظم فيه:

إنما النحو قياس يتبع	وبه في كل أمر ينتفع
فإذا ما أبصر النحو الفتى	مر في المنطق مرّاً فاتسع.

⁶³ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 23.

⁶⁴ - المرجع السابق، ص 87.

هذا ولا بد لك أن تعرف الاختلاف بين قياس البصريين وقياس الكوفيين، فالقياس عند البصريين يستند إلى دقة الملاحظة و نشدان الصحة والشمول، في حين لقد كان الكوفيون متساهلين في أقيستهم فبنوها على الشاذ والنادر، فنتج عن ذلك أن قاموا على غير المسموع وأصروا أن يستنبطوا منه القاعدة.

يقول عبد الله الخثران: "الكوفيون يعنون بالقياس كما عني به البصريون، ولكنهم يختلفون عنهم في التطبيق فالبصريون لا يقيسون إلا على الشائع الكثير الناتج من استقراء جزئيات كثيرة من الشواهد للوصول إلى قواعد كلية ضابطة وأما الكوفيون فقد توسعوا فيه وأخذوا به وقد أقر أبو البركات الأنباري في "الإنصاف" بظاهرة القياس عندهم واعتمدها من استدلالاتهم، وأخذ به في بعض المسائل النحوية"⁶⁵.

يقول شوقي ضيف: ".. فقد استخدموا (يقصد الكوفيين) القياس أحياناً بدون استناد إلى أي سماع، ونضرب لذلك مثلاً قياسهم العطف ولكن في الإيجاب على العطف ببل في مثل "قام زيد بل عمرو" فقد طبقوا ذلك على لكن وأجازوا "قام زيد لكن عمرو" بدون أي سماع عن العرب"⁶⁶.

فالمسموع عند العرب الفصحاء استعمال (بل) في العطف سواء أكان المعطوف قبلها مسبوقة بنفي أم كان مثبتاً مثل: حفظت القصيدة بل أبياتاً منها، و"ما حفظت القصيدة بل أبياتاً منها"، وفيما يتعلق ب (لكن) المسموع عنها ألا تكون للعطف إلا إذا سبقت بنفي مثل: ما زرت الكوفة لكن البصرة. ولا يصح زرت الكوفة لكن البصرة لأن العرب لم تنطق به، وأنت ترى الكوفيين قد قاموا على ما لم تنطق به العرب.

وقد قال السيوطي عن الكوفيين: "لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّوا عليه"⁶⁷

⁶⁵ - عبد الله الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، ص 233.

⁶⁶ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 164.

⁶⁷ - السيوطي: الاقتراح، ص 105.

ومن أمثلة الاحتجاج بالنادر عند الكوفيين ما ذهب إليه الكسائي من جواز الجزم بـ (لن)، والنصب بـ (لم)، والجر بـ (لعل) اعتماداً على الشواهد النادرة، وما ذهب إليه الفراء من جواز دخول اللام على خير (لكن) محتجاً بقول الشاعر النادر:

يلومونني في حب ليلي عواذلي **** ولكنني من حبها لكميد⁶⁸.

ونخلص إلى أنّ كلا من البصريين والكوفيين يستعملون القياس في أحكامهم النحوية. لكنّ الكوفيين أكثر قياساً من البصريين من حيث الكم والسعة والمساحة، فهم يقيسون على القليل والكثير والشاذ والنادر ومجهول القائل. وأما البصريون فهم أكثر قياساً من حيث الكيف فهم يقيسون على الأكثر المطرد المشهور بالفصاحة والسلامة اللغوية.

3- التعليل:

ونعني به إيجاد سبب أو البحث عن العلة المسببة لظاهرة نحوية أو لغوية ما وإيجاد تفسير لغوي للظواهر المستنبطة من كلام العرب، وهذه العلة مستنبطة استنباطاً من اللغة، وهي اجتهادية مبدأها تقلب النظر في الظواهر اللغوية وليست بالضرورة أن تكون كما فسرنا هذه العالم أو ذاك، وبمعنى آخر علل النحو ليست كعلل الطبيعيات مثل علة الاحتراق النار. إنما هي نتيجة اجتهاد ونظر من النحاة للاستدلال على براعة الواضع العربي ودقته وفهمه للغة، يقول أبو القاسم الزجاجي عنها: " أقول أولاً إن علل النحو ليست موجبة وإنما مستنبطة أوضاعاً ومقاييس"⁶⁹.

لقد اشتغل النحاة بالتعليل النحوي منذ بداية الدراسات اللغوية، وعن أنواع العلل وموقف كثير النحاة منها، وكان اهتمامهم بها بالغاً، بل كان درياً متبعاً من قبل النحاة منذ القدم مع اختلافهم فيه منهجاً وتحقيقاً.

⁶⁸ - الخثران، عبد الله حمد: مراحل تطور الدرس النحوي، ص235.

⁶⁹ - أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط5/ 1406هـ - 1986م، ص64.

ومن النحاة الذين كان لهم اشتغال بالتعليل الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان شغوفاً به يود أن يدخله في كل ما يتعلق باللغة إيماناً منه بعبقريّة اللغة العربيّة وحكمة واضعيها، يقول شوقي ضيف: «وكان [أي الخليل] يسند دائماً ما يستنبطه من القواعد والأحكام بالعلل التي تصور دقته في فقه الأسرار اللغوية والتركيبية التي استقرت في دخائل العرب من قديم.

ولما سئل الخليل عن العلل التي استنبطها من اللغة أهي من عند العرب قصدوها قصداً أم هي من عنده اخترعها اختراعاً، فقال ما نصه: "إنَّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علّته منه..".

ولقد اتبع سيبويه شيخه في اشتغاله بالتعليل واهتمامه به بل إنه حينما يورد الحكم النحوي يردفه بتعليله، ومن ذلك تعليله لقبول الأسماء التتوين، والذي لم تقبله الأفعال لأنه يرى أن الأفعال تمتاز بالثقل إذا ما قورنت بالأسماء يقول: "واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكناً، فمن ثم لم يلحقها تتوين"⁷⁰.

ويؤكد شوقي ضيف ولوع سيبويه بالتعليل بل ويراه يعلل لما كان مطرداً من كلام العرب ولما لم يكن كذلك "وتكثر التعليلات في كتاب سيبويه كثرة مفرطة، سواءً للقواعد المطردة أو للأمثلة الشاذة... بل يعلل أيضاً لما يخرج على تلك القواعد"⁷¹.

فالتعليل هو في الحقيقة تفسير للقواعد النحوية والكشف عن مسوغات بنائها، وذلك بذكر المصدر الذي تتبنى عليه القاعدة، أو تقديم مسوّغ عقلي. وكان التعليل ينم عن احترام كبير للقاعدة النحوية وخدمتها وتأكيد صحتها.

⁷⁰ - سيبويه: الكتاب، 20/1.

⁷¹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 82.

وإذا عرجنا إلى كتاب "معاني القرآن" ليعني بن زكريا الفراء الكوفي فإننا نجد فيه كثيراً من التعليقات التي تصل إلى حد الغموض، وفي هذا الكتاب بالذات يفصح الفراء عن معارضته لآراء البصريين وتعليقاتهم من ذلك رفضه لرأي الخليل في لفظة (هلم) التي يراها مركبة من "هاء التنبيه" والفعل (لَمْ)، تقول الدكتورة خديجة الحديثي: "ومن ذلك موقفه المخالف للخليل في تفسير بعض الكلمات الجامدة مع قولهما معاً بتركيبهما إلا أنهما اختلفا في التحليل فذهب الخليل في "هلم" أنها مركبة من "ها التنبيه" والفعل "لَمْ" وذهب الفراء إلى أن أصلها "هل أم" من الفعل بمعنى "قصد" وفي هذا التحليل غموض في المعنى وإغراق في تفسير الحذف وتأويل المعنى"⁷².

ويقول شوقي ضيف عن مخالفة ثعلب للبصريين في أن (أي) تكون دائماً وصلة للنداء المعروف بـ (ال) في قوله: "ودائماً نحس أنه يجري - أي ثعلب - على ما أنهجه الفراء؛ ولذلك كان اسمه يتكرر في مجالسه متخذاً منه أدلته على ما يذهب إليه من آراء، من ذلك أن سيبويه والبصريين كانوا يذهبون إلى أن "أي" تكون دائماً وصلة لنداء ما فيه أل مثل: يا أيها الرجل، ورد ثعلب عليهم هذا الرأي مستدلاً بما قاله الفراء من أن "الدليل على أنه ليس كما قالوا أنه يقال: يا أيها أقبل" فيسقط الثاني "أي: ما فيه أل مثل الرجل" الذي زعم أنه وصف لازم⁷³.

ونستخلص من المبحث أن التعليل سمة قائمة عند النحاة فهو متصل اتصالاً وثيقاً بالقياس والقاعدة النحوية. فمنهج البصريين في التعليل تابع لمنهجهم في القياس، كما أن التعليل عند الكوفيين تابع للقياس عندهم.

4 - الرواية:

⁷² - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 167.

⁷³ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 235.

الفرق بين السماع والرواية، هو أنّ السماع كما ذكرنا ذلك من قبل هو أخذ النحوي اللغة من أفواه العرب مباشرة دون واسطة، وأمّا الرواية فهي أخذ النحوي اللغة بطريقة غير مباشرة، فلربما يأخذ اللغة عن نحوي غيره، أو يجد الرواية في مصنف من المصنفات، أو في أحد كتب النحو، كما يتجلى الفرق بين السماع والرواية في أن السماع محدود في الزمان بمعنى أن العالم يأخذ اللغة الراهنة في عصره، بيد أن الرواية يمتدّ زمنها في القدم كثيرا فقد يروى للنحوي في عصره لغة سبقت عصره بكثير. وأنت ترى تشابك المعنيين ببعضهما وفيما قدمناه لك كفاية لمعرفة الفرق، ويمكن القول هنا إن كل رواية سماع وليس كل سماع رواية، فالسماع كل ما نقل عن العرب مباشرة أو غير مباشرة وأمّا الرواية فهي النقل غير المباشر. يقول الدكتور علي أبو المكارم مفرقا بين السماع والرواية: "وأما ما يرويه (عالم) عن عالم آخر أو عن جيل سابق من العلماء، أو عن مصنف من المصنفات اللغوية أو كتاب من كتب النحو، فلا نعهده سماعاً وإنما نعهده رواية"⁷⁴.

لقد تشدّد البصريون في الرواية كما تشدّدوا مع القياس من حيث التشدد في التدقيق والتمحيص ولربما كان الأمر أكثر حدة في الرواية منه في القياس لأن الرواية هي معين الشواهد التي يتحراها البصريون فلا يتسامحون البتة مع أدنى شك من وجوه النحل أو الوضع في الرواية، ولقد شبههم الدكتور التواتي بن التواتي في تعاملهم مع رواة اللغة كتعامل الفقهاء مع رواة الحديث وأنت تعلم مدى دقة الفقهاء في هذا العلم.

لقد كان البصريين لا يطمئنون إلى كل رواية ترد عن العرب في الجاهلية إلا بعد تدقيق وتمحيص فوضعوا مقاييس لتصحيح هذه الروايات الواردة عن العرب، فكان منهجهم في الدقة والتشدد كالمنهج الذي اتبعه علماء الحديث أو أشد وكانوا يرفضون كل ما شذ من الروايات⁷⁵.

⁷⁴ - علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص41.

⁷⁵ - ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص137.

وكان ابن جني قد اتخذ الرواية ظهيراً على صحة آرائه فهو يروي عن سيبويه وعن الفارسي وغيرهما فيستشهد بالأشعار والقصص التي يحفظها، وكان يتتبع في كل ذلك أسلوباً استطرادياً ينتقل به من علم إلى علم ومن فن إلى فن حتى شبهه محمد علي النجار في تحقيقه لكتاب الخصائص في الاستطراد بالجاحظ. يقول: "يكثر ابن جني من الرواية عن غيره، فهو ينقل عن سيبويه وعن أستاذه أبي علي، وعن غيرهما من علماء البلدين، وهو يستشهد بالشعر والقصص، ويجول في فنون المعرفة، ويستطرد لما هو سبيله وهو يدنو في هذا بعض الشيء من الجاحظ"⁷⁶.

ولقد كان الكوفيون أكثر رواية من البصريين لأن الكوفيين يمتلكون مخزوناً شعرياً كبيراً الأمر الذي شغلهم عن النحو لزمان غير قصير، غير أن هذه الكثرة الكاثرة من الأشعار ليست في مستوى واحد من الصحة، فكثير منها مصنوع منحول أو منقول عن آخرين. قال أبو الطيب اللغوي: "الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله"⁷⁷.

وبين يدي حديثنا عن الرواية لابد من التذكير بأنها لم تسلم من بعض التغيير أو الزيادة أو النسيان من قبل الرواة هذا قبل عصر التدوين، وأما بعد عصر التدوين لم تسلم من التصحيف والتحريف.

وقد تأثرت المرويات في مرحلة ما قبل التدوين ببعض المؤثرات في السماع ... فلم يكن الرواة جميعاً على قدر واحد من حيث قوة الحفظ ودقته، وأما بعد عصر التدوين فقد تأثرت المرويات وبخاصة الشعر بظاهرة أخرى نتجت عن التدوين ذاته وهي ظاهرة التصحيف"⁷⁸.

⁷⁶ - ابن جني: الخصائص، 249/1.

⁷⁷ - محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 112.

⁷⁸ - علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص 42.

على أننا في هذا الأمر المتعلق بما اتصل بالرواية من تغير أو زيادة أو تصحيف أو تحريف، لا ننساق وراء الحملات المغرضة التي شنّها نفر من المستشرقين الحاقدين على اللغة العربية والدين الإسلامي الذين زعموا أن هذا التحريف والتصحيف قد مس كذلك القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن أمثال هؤلاء (شارل بلا) و(جولد تسهير) و (ثيودور نولدكه) و(فرانتز) يقول المستشرق (شارل بلا) مستدلاً على عدم أمانة الرواية في العصر العباسي: ونحن نعجب - دون الدخول في التفاصيل - من ضعف أمانة الرواة زمن الجاحظ ... إن الجاحظ نفسه لم يشذ عن هذا الإغراء أو هذه اللذة السقيمة التي يوفرها الكذب، فهو قد اعترف في سنّ تحتمّ عليه الصراحة أنه ربما ألف الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة ونسبه إلى نفسه.

لقد بيّن علي أبو المكارم السموم التي نفتّها هؤلاء المستشرقون بالبراهين الساطعة والحجج البيّنة براءة القرآن الكريم من هذا التحريف والتزييف والتصحيف والتحريف فيقول: فإن القرآن قد برئ تماماً مما أصاب هذه المرويات إذ دون منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وجمعت المدونات في مصحف واحد على عهد أبي بكر، وتم نشر هذا المصحف في الآفاق على عهد عثمان⁷⁹.

من خلال هذا يتبيّن لنا أهمية الرواية وخطرها سواء كانت في الشعر أو النثر أو في القرآن الكريم، فقد كانت منفذا يلج منه أعداء الدين الإسلامي، وأعداء العربية لينفثوا سمومهم إلا أنّ علماء العربية الأوائل قد اهتموا بالرواية اهتماماً بالغاً، ودرسوها درسوها دراسة علمية دقيقة سواء عند البصريين أو عند الكوفيين، فأثبتوا كل ما يتعلق بها من صحيحها وسقيمها ومتواترها وشاذها. وإنّ هذه الشبهات التي ينفثها المستشرقون لا تتطلي على أولي العلم والفقه وإذا داحضة في مهدها. وبهذا يتبيّن جلياً أنّ علوم العربية صرح شامخ ثابت ثبوت الشم الرواسي.

⁷⁹ - المرجع السابق: ص 45 فما بعدها.

المحاضرة الخامسة: المدارس النحوية في المشرق والمغرب العربيين

تمهيد:

لقد طرح الباحثون المحدثون إشكالية المدارس النحوية وحقيقة وجودها وعددها، وهل هل هذه المدارس بالمسمى الحديث هو نفسه المذاهب النحوية بالمسمى القديم؟ لم يستعمل الدارسون القدامى مصطلح مدرسة، ولم يعبروا بهذا المعنى إطلاقاً، ونجدهم إذا أرادوا التفريق بين النحاة ينسبونهم إلى أقطارهم، فيقولون أهل البصرة وأهل الكوفة، والمعروف أن لفظة (أهل) لا ترتبط بقريب معنى ولا ببعيده بلفظة مدرسة. أو يقولون البصريون والكوفيون. وفي هذا تقول الدكتورة خديجة الحديثي: "ونلاحظ من هذه التسميات أنه [تقصد أبا الطيب اللغوي صاحب كتاب مراتب النحويين] يسمي نحاة الكوفة "الكوفيين" أو أهل الكوفة ويسمي نحاة البصرة "أهل البصرة" أو البصريين...".

وإذا رجعنا إلى المصادر التراثية فإننا نجد لفظة (مذهب) قد استعملت عند ابن الأنباري صاحب "الإنصاف في مسائل الخلاف" "وأن لفظة (مذهب) تقترب شيئاً من مصطلح مدرسة. يقول ابن الأنباري في مقدمة كتابه الإنصاف: "وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف، لا التّعصّب والإسراف"⁸⁰.

⁸⁰ - الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط1/ 1424هـ - 2003م، 7/1.

كما أننا نجد الذهبي في كتاب هـ "سير أعلام النبلاء" ينسب علماء النحو الأوائل كالخليل والكسائي إلى بلدانهم التي عاشوا فيها حين يترجم لهم فيقول عن الخليل: "الإمام، صاحب العربية ومنشئ علم العروض أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري". ولما ترجم للكسائي الكوفي قال: "الإمام شيخ القراءة والعربية أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن يهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي الملقب بالكسائي".

وأما مصطلح (مدرسة) فأول من استعمله هم المستشرقون في العصر الحديث حيث تؤكد ذلك الدكتورة خديجة الحديثي في قولها: "كان المعاصرون أول من استعمل كلمة (مدرسة) قال بروكلمان وقد قسم علماء العربية مذاهب النحو إلى ثلاث مدارس: البصريون والكوفيون ومن مزجوا بين المذهبين من علماء بغداد ويبدو أنه عني بـ: (مدرسة) مجموعة النحاة الذين كانوا ينسبون إلى بيئة نحوية واحدة".

ثم اعتمد هذا المصطلح "المدارس النحوية" من قبل مجموعة من الدارسين العرب المحدثين إذ أصدر مهدي المخزومي كتاباً سمّاه: "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو"، كما ألف شوقي ضيف "المدارس النحوية"، وألفت خديجة الحديثي كتاباً في المدارس النحوية وسمته بـ "المدارس النحوية"، وأصدر التواتي بن التواتي مختصراً أطلق عليه: "المدارس النحوية".

الاختلاف في وجود المدارس النحوية:

اختلف الدارسون العرب المحدثون في وجود هذه المدارس النحوية، وسنذكر هذا الاختلاف المطروح بينهم، إذ يوجد منهم أثبتها ومنهم من أنكرها، ومنهم من تحفظ في بعضها دون بعض كما يلي الآن:

1- المنكرون للمدارس النحوية:

يمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أقسام:

- قسم لا يقر بوجود هذه المدارس إطلاقاً.
- وقسم ثانٍ يقرّ بوجود مدرسة واحدة أو اثنتين لا أكثر.

– وقسم ثالث يرفض اعتبار الجانب الجغرافي أصلاً معياراً لهذا التقسيم.

القسم الأول:

يرى بعض الدارسين أنه لا توجد مدارس نحوية متعددة لأن النحو العربي واحد واختلاف العلماء كان في الأصول لا الفروع، ويذكر إبراهيم السامرائي في كتابه المدارس النحوية أسطورة وواقع في فصل عنوانه بسؤال: أ لنا مدارس؟ وقد قال: "وقد أنكرت أن يكون مدرستان هما المدرسة البصرية والكوفية فالنحو القديم واحد وإن كان هناك من شيء فاختلاف اللاحقين ممن دعوا بالكوفيين عن المتقدمين من البصريين لمسائل تتصل كما أشرت بالفروع لا بالأصول"⁸¹.

ويتبع علي أبو المكارم إبراهيم السامرائي فيما عدم إقراره بوجود مدارس نحوية في كتابه أصول التفكير النحوي، فقد وصف الاختلاف بين النحاة وصفا تاريخيا، ولا يذكر أن هذه المدارس هي مدارس نحوية، بحيث يصفها على شكل مراحل، فيأتي على ذكرها، فيذكر أن التعليل مرّ بمراحل ثلاث ولم يسم أيّا منها بمصطلح (مدرسة نحوية) وعلى سبيل المثال عندما كان بصدد دراسة مبحث تطور التعليل النحوي، نجده يقسم ذلك التطور إلى مراحل ، فيقول: "ويمكن أن نلمس في هذا التطور مراحل ثلاثة، تتميز كل مرحلة منها بخصائص محددة في التعليل النحوي، من حيث دوافعه التي أسلمت إليه، وأهدافه التي قصدها، وخصائصه التي سار عليها، وسنحاول أن نحلل كل مرحلة من هذه المراحل"⁸²

يقول: "المرحلة الأولى وهي مرحلة نشأة التعليل النحوي، ويمكن أن يعد أبابها الشرعي عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتنتهي هذه المرحلة بالخليل بن أحمد الفراهيدي"⁸³. وعن المرحلة الثانية يقول: "وتبدأ هذه المرحلة بتلاميذ الخليل بن أحمد وتنتهي بالزجاج أي أنها تمتد من أوائل القرن الرابع الهجري"⁸⁴. والمرحلة الثالثة من التعليل: طتبدأ المرحلة

⁸¹ – إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص139 فما بعدها.

⁸² – علي أبو المحارم: أصول التفكير النحوي، ص151

⁸³ – المرجع السابق، ص152

⁸⁴ – المرجع السابق: ص156.

الثالثة من مراحل التطور في التعليل النحوي بعد الزجاج وعلى وجه التحديد تبدأ بابن السراج أبي بكر محمد بن السري⁸⁵.

فلقد ألفيناه عند ذكر هذه المراحل والتي بدأت من القرن الأول الهجري ووصلت إلى القرن الرابع يتحامي تصنيف آراء النحاة وتطور التعليل إلى مدارس نحوية، كما ينكر التواتي بن التواتي إنكاراً صريحاً وجود هذه المدارس لكنه يتراجع قليلاً فيصرح بأنه يقبل ذلك بتحفظ وعلى مضض لأن الدارسين دأبوا على إثابتها.

يقول: "إن البصريين ذهبوا إلى أن الاسم مشتق من (السمو) وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من (الوسم)، لهذا ليس بخلاف تبنى عليه مدرسة ... ومهما يكن فإن العرف عند مؤرخي النحو دأب على أن هناك مدرستين نحويتين تختلفان في المنهج والتحليل والمصطلح غير أننا نقبل بوجودهما بكل تحفظ ..."⁸⁶.

القسم الثاني:

وهو الذي لا يعترف إلا بمدرسة أو اثنتين وينكر غيرهما، و رأي أصحاب هذا الاتجاه يتلخص في أن النحو بدأ بصرياً ثم نضج كوفياً، وما بعدهما ما هو إلا امتداد لهاتين المدرستين، أو هو في الأساس امتداد لمدرسة واحدة في المدرسة البصرية تنتقل لنا هذا الرأي خديجة الحديثي بأن المستشرق "جوتولد فايل" هو أول من اعترف بمدرسة البصرة لوحدها وأنكر مدرسة الكوفة و تبعه في ذلك دارسون عرب: "فقال بعضهم أنه لا توجد إلا مدرسة نحوية واحدة هي مدرسة البصرة وأنكروا وجود مدرسة باسم الكوفة وقد سبق إلى القول بهذا "جوتولد فايل"⁸⁷.

ونجد هذا الأمر كذلك في كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري فإنه يرى بوجود مدرستين من خلال عرضه للمسائل الخلافية بين المدرستين البصرة والكوفة، علماً أن ابن الأنباري قد توفي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بل وحتى

⁸⁵ - المرجع السابق، ص164.

⁸⁶ - الأنباري : الإنصافي في مسائل الخلاف، 8/1.

⁸⁷ - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص15.

العنوان يحيل على هذا الرأي "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين"، ولا يصرح بالمدرسة الثالثة وهي مدرسة بغداد النحوية التي ينتمي إليها اللهم إلا إذا كان يشير أصل المدرسة البغدادي التي نشأت على هاتين المدرستين.

الاتجاه الثالث:

وهذا الرأي يرفض اعتبار الجانب الجغرافي معياراً لتقسيم النحو إلى مدارس، ويرى بدلاً عنه الرابط الفكري المتمثل في الاصطلاح والمنهج.

يقول أحمد مختار عمر: "ومن ناحية أخرى فنحن لا نوافق على اتخاذ المعيار الجغرافي أساساً لتقسيم العلوم إلى مدارس فكرية مختلفة، إن وجود جماعة من الدارسين في مكان واحد لا يكفي مطلقاً لتشكيل مدرسة، أو لأحقية ربطهم جميعاً برباط واحد، اللهم إلا إذا وجد الخيط الذي يصل بينهم، والخطوة أو النظرية التي يشتركون في تطبيقها. وعلى هذا يكون المرشح لأحقيتهم اسم مدرسة ليس وجودهم في مكان واحد وإنما اشتراكهم في خط فكري معين"⁸⁸.

وقد طرح أحمد مختار عمر هو تساؤلاً يوحي عن استشكله وجود مدارس نحوية عند العرب إذ عنون أحد مباحث كتابه بهذا السؤال: "هل وجدت مدارس نحوية عند العرب؟". كما يرى هذا الرأي سعيد الأفغاني منها: الذين يرفض اعتبار المعيار الجغرافي معياراً للمدارس النحوية. يقول: "... العلماء على أن هناك مذهباً بصرياً وآخر كوفياً... والمعالم الآنية ليست جامعة مانعة فليس هناك قاعدة أجمع عليها نحاة البصرة وتواتر على معارضتها نحاة الكوفة وقال بها الآخرون جميعاً وعارضها الأولون جميعاً". وقد احتج المنكرون لهذه المدارس بحجج منها:

- أن الاختلاف بين هؤلاء النحاة كان في الفروع لا الأصول.
- أن مصطلح مدرسة مجتلب أساساً من العلوم الغربية والدليل على ذلك أن أول المستعملين لهذا المصطلح هم المستشرقون.

⁸⁸ - أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص128.

- أن النحاة يأخذون عن بعضهم من قطر إلى قطر فلا يسمح بتميز نحاة كل إقليم عن غيره.
 - أن الاختلاف يكون بين نحاة الإقليم الواحد فقد اختلف البصريون فيما بينهم كما اختلف الكوفيون.
 - أن نشأة النحو كانت بالبصرة ومن أتى بعد ذلك من العلماء كانوا عالة على نحاتها.
 - إن بعض الأقاليم أقامت نحوها على انتخاب ما ترتضيه من آراء غيرها مثل مدرسة بغداد في نظرهم ليست مدرسة لأنها مزجت بين آراء البصريين والكوفيين.
- 2- المثبتون للمدارس النحوية:**

يرى كل من بروكلمان ومهدي مخزومي أن عدد المدارس النحوية ثلاث مدارس هي:

المدرسة البصرية
والمدرسة الكوفية
والمدرسة البغدادية

والمدارس النحوية عند شوقي ضيف خمس مدارس المذكورة آنفاً ويضيف لها المدرسة المصرية.

ويرى التواتي بن التواتي عدد المدارس ثلاثاً: المدرسة البصرية، المدرسة الكوفية، المدرسة الأندلسية. وهذا الرأي لأحمد أمين الذي يقر بوجود ثلاث مدارس نحوية: البصرة، الكوفة وبغداد.

وأما خديجة الحديثي فقد كان رأيها حيال هذه الفكرة غامضاً وعلى الرغم من تأليفها لهذا كتابها "المدارس النحوية"، وردّها على بعض المنكرين لوجود هذه المدارس، فإن المتصفح لكتابها هذا يجد أنها تخطئ بين المصطلحين فعن البصرة والكوفة استعملت مصطلح المذهب النحوي في البصرة، المذهب النحوي في الكوفة، ثم استعملت مصطلح مدرسة بغداد النحوية، مدرسة مصر النحوية، ثم عنونت النحو في الأندلس، النحو في بيئات أخرى.

وحجة المثبتين هو:

اختلاف هذه المدارس في المصطلح والمنهج، وأن آراء العلماء في هذه الاتجاهات تؤسس إلى استقلال كل فريق بمدرسته. وكذلك وجود إجماع إقراري من الدارسين على وجود هذه المدارس.

ونخلص إلى أن المدارس النحوية بحسب المفهوم العلمي اليوم هو استقلال كل واحدة عن الأخرى، في المنهج والمصطلح والمفهوم والإجراء، وكل ومدرسة لها فلسفتها الخاصة بها. أما مفهوم المذهب فإنه يدل على اتصال هذه المذاهب في الأصول، واختلافها في بعض الفروع، وهذا الذي نجده ماثلاً في مفهوم المذاهب النحوية وكذا المذاهب الفقهية. وعليه فإن مصطلح المدرسة يمكن إرجاعه إلى مفهوم مصطلح المذهب، ومقصد الباحثين العرب المحدثين والمعاصرين إنما يقصدون بذلك مجازة الغرب في اصطلاحهم، ولا مشاحاة في الاصطلاح.

المحاضرة السادسة

المدرسة البصرية، منهجها، أعلامها

تمهيد:

لقد تطرقنا في المحاضرة السابقة إلى مناهج المدارس النحوية، وذكرنا معالم الأساسية لهذا المنهج وهي: السماع والقياس والتعليل والرواية وذكرنا خصائص كل مدرسة في هذه المحاور الأساسية المشكلة لمنهج كل مدرسة والفرق بينهما.

مدينة البصرة:

أنشأها الصحابي عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في السنة 14 الهجرية، حيث تقع البصرة في الجنوب الشرقي من بلاد العراق، لها أهمية كبيرة منذ قديم الزمان لتربيعها على ضفاف نهري دجلة والفرات وتموضعها على البوابة البحرية لهذين النهرين، كما كانت منطلق الحضارة العربية وامتزاجها بالحضارات الإنسانية. والعرب الذين استقروا بها كانوا ذوي ميولات بدوية، فاتصلوا بشعوب مختلفة وثقافات شتى فأنثروا وتأثروا⁸⁹.

لقد كان للبصرة مقومات أخرى جعلت منها أشهر مدينة عراقية في العصر الراشدي ومن تلك المقومات نذكر:

- التجارة:

لقد ذكرنا في محاضرة عوامل نشأة المدارس النحوية (النشاط العلمي العلمي لدراسة العربية) أهم عامل وهو ازدهار التجارة التي تمثلت في سوق المرید الذي كان مقصد التجار والعلماء والأدباء والشعراء، وأنها في الأصل سوق تجارية، وقد كان يباع فيها الإبل والغنم،

⁸⁹ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله، دار صادر، بيروت، ط2/ 1995م 430/1.

والمريد في أصلها اللغوي الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وهذه السوق شبيهة بسوق عكاظ التي كانت في الحجاز إبان العصر الجاهلي، وبالإضافة إلى التجارة كانت المريد ملتقى لرواة الشعر، والقصاص أو الشعراء، والخطباء واللغويين يلقون على جموع الناس بضاعتهم الأدبية واللغوية، ويستعرضون مواهبهم وكفاءتهم أمام الناس، فيتعدى صيتهم البصرة وضواحيها فيشتهر كل من نال إعجاب الناس ورضاهم، وهكذا كانت هذه السوق مصدراً ثقافياً هاماً ورافداً من روافد اللغة العربيّة.

- المجالس العلمية في المساجد:

لقد كان للمسجد الجامع الذي أنشأه الصحابي عتبة بن غزوان - رضي الله عنه - في مدينة البصرة دور تعليمي وتثقيفي، إذ كان يتوسط المدينة، فهو غير بعيد عن مساكن الناس وطرقاتهم، حيث تقام فيه مجالس العلم لكثير من العلماء الأجلاء الذين ذاع صيتهم في الآفاق، يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم، مثل الشورى، وإعلامهم بشؤون الخلافة من حرب وسلم وجهاد، ولم يخل هذا المسجد الجامع من حلقات القراءة والقصاص واللغويين ومن تلك المجالس نذكر:

- مجلس الحسن البصري (110هـ):

اشتهر الحسن البصري بقراءته على طريقة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - والتي من أسسها الاهتمام بالتفسير والاستشهاد باللغة، فأقبل عليه الناس ينهلون من هذه الطريقة في القراءة ويستزيدون من لغة العرب وأشعارها.

- مجلس واصل بن عطاء (131هـ):

كان واصل بن عطاء في بادئ أمره مريداً من مريدي مجلس الحسن البصري، لكن واصل كان ميالاً إلى الجدل والاعتداد المفرط بالعقل فكان هذا إرهاباً لظهور الاعتزال لديه، فشكل واصل مجلساً مستقلاً كان له مريدوه.

- مجلس أيوب بن أبي غنيمة السخيتاني:

كان ثقة في الحديث ورعاً زاهداً متديناً فقيهاً، شرح أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأسلوب جلب إليه كثيراً من الناس.

- مجلس حماد بن سلمة (165هـ):

اشتهر بالفصاحة ورواية الحديث من خلال الاعتناء بألفاظه وسنده وتفسير معانيه وأحكامه وكان يعدّ من أوائل النحاة. فالمسجد الجامع إذا ومجالس العلماء والفقهاء واللغويين جعلت البصرة حاضرة من حواضر العلم والمعرفة، وخاصة النحو واللغة.

منهج المدرسة البصرية:

لقد تكلمنا سابقا عن مناهج المدارس النحوية القديمة، وتعرضنا إلى أهم المحاور التي تشكل المنهج الخاص بكل مدرسة مثل السماع والقياس والتعليل والرواية. وفي هذه المحاضرة سنقف عند خصائص المنهج عند كل مدرسة لنبيرز أهم المميزات التي تمتاز بها كل مدرسة على حدة، لأن هذا سيمكّننا من التأكيد أن هذه المدارس النحوية لم تكن مجرد أسماء على مسميات إنما كانت تختلف في جوهر مهم هو منهج الدراسة، فما هو منهج المدرسة البصرية وماهي خصائصه؟

1- السماع:

إنّ التأسيس لقواعد النحو عند البصريين أمر ذو شأن عظيم لا يمكن أن يصدر عن عقل عالم منفردا مهما كانت درجة رسوخه في العربية و إحاطته بلهجاتها ومعرفة الأصل من الدخيل منها، بل لابد من نقل يعضد هذه المعرفة اللغوية حتى تتضح الحجة ويقوى الدليل.

يقول شوقي ضيف: "يجري سيبويه في السماع على الأساس الذي وضعته مدرسته، كما رأينا عند ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر والخليل، وهو النقل عن القراء وعلماء اللغة الموثقين والعرب الذين يوثق بفصاحتهم، واستن بمدرسته في قلة الاستشهاد بالحديث النبوي؛ لأنه رُوي بالمعنى لا باللفظ، ودخل في روايته كثيرون من الأعاجم الذين لا يؤمنون على اللحن"⁹⁰.

فمنهج السماع عند البصريين ليس سماعاً عادياً يقبل الخبر الواحد أو الخبرين إنما

⁹⁰ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 80.

يجب في هذا الأثر أن يطرد في استعمال لغوية شتى تتساق ونظائرها اللغوية، فما اتسم بالقلة والندرة وإن كان قائماً رُدَّ لعدم كثرته وتواتره، فوصفوه بالنادر والشاذ، وما كانوا يتشبثون بلغة قبيلة واحدة ولو شاع الاستعمال لديها إنما فرضوا على منهجهم في السماع من قبائل اشتهرت بالفصاحة وانعزلت في البادية فلم تلوث لغاتهم برطانة الأعاجم، فأخذوا عن هذيل وكنانة وعن طائفة من الطائيين لتوغلهم في البادية وتفردهم في أقاليم منيعة عن الأعاجم، فلم يسمعوهم من قبائل كانت مظنة التأثير بالأجنبي كقبلتي لحم وجذام لمجاورتهم القبط، وما سمعوا عن قضاة ولا غسان ولا إباد لمجاورتهم الروم بالشام ولا من بكر لقريهم من النبط والفرس.

2- القياس:

إنَّ كلام العرب لا يمكن أن يحيط به السماع ويستوعبه جملة وتفصيلاً فليس كل الأفعال المستعملة في اللغة العربية نطقها العرب الأوائل ولا كل الفاعلين ولا كل المفعولين، وفي هذا يقول ابن جني: " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره. فإذا سمعت "قام زيد" أجزت ظرف بشر، وكرم خالد" ⁹¹. ولهذا اخترع العلماء بفكرهم الثاقب وعقليتهم العبقريّة منهج آخر يعضد السماع يؤسس للقاعدة النحوية معززاً بالحجة مدعوماً بالدليل ذلك المنهج هو القياس الذي بواسطته أضيفت مادة لغوية جديدة على ما هو مسموع ومنقول عن العرب.

إذاً فالقياس عمل عقلي يقوم به النحاة من تلقاء فكرهم وفهمهم للغة العرب فينشئون قواعد النحو انطلاقاً من عرض ما عنّ لهم من استعمالات لغوية جديدة على ما سمع عن العرب من لغتهم القديمة.

تقول منى إلياس: "إذا أخذنا القياس في أبسط معانيه تبين لنا أنه عملية فكرية يقوم بها الإنسان الذي ينتمي إلى جماعة لغوية، ويجري بمقتضاها على الاستعمال المطرد في هذه الجماعة، وهذه حقيقة من حقائق الإجماع اللغوي التي تبني عليها الاستعمالات اللغوية.

⁹¹ - ابن جني: الخصائص، 358/1

ولقد ذكرنا من قبل شدة ولوع أوائل النحاة البصريين بالقياس واستدللنا على ذلك بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي قيل عنه إنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل، ولما جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي اعتمد الدقة في القياس بغية استنباط قواعد النحو و تعليلاته⁹².

ويورد شوقي ضيف مثالا لظاهرة القياس عند الخليل في قوله: "والمثل الثاني منع العلم من الصرف إذا كان على وزن فعلا ن مثلثة الفاء والنون فيه زائدة مثل: عثمان وغطان"⁹³، ويستشهد بقول سيبويه وهو يسأل شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي: "وسألته عن رجل يسمى دَهْقَان فقال: إن سميته من التدهقن فهو مصروف ... وإن جعلته من الدَهْق لم تصرفه ... وسألته عن رجل يسمى مُرَانَا فقال: أصرفه؛ لأن المران إنما سمي للينه فهو فُعَال كما يسمى الحماض لحموضته وإنما المرانة اللين. وسألته عن رجل يسمى فَيْنَانَا فقال: مصروف لأنه فيعال، وإنما يريد أن يقول: لشعره فنون كأفنان الشجر. وسألته عن ديوان فقال بمنزلة قيراط؛ لأنه من دَوَّنت. وسألته عن رمان فقال: لا أصرفه وأحمله على الأكثر، إذ لم يكن له معنى يعرف. وسألته عن سعدان والمرجان فقال: لا أشك في أن هذه النون زائدة؛ لأنه ليس في الكلام مثل فعلا ن إلا مضعفا"⁹⁴. ووضح أنه يعتمد في أحكامه على محفوظاته في اللغة، وهي محفوظات كانت تعينه على معرفته الدقيقة بأصول الألفاظ واشتقاقاتها واستقراء لمثيلاتها، وكأن اللغة أسلمت له قيادها كي يحكم آراءه ويضبط ما يشاء من قواعد الصرف والنحو جميعا⁹⁵. فنجد في هذا النص أنّ الخليل كان استنبط من كلام العرب الصيغ الصرفية وفقد دلالتها وقاس عليها كل كلمة ترد على شكلها وصيغتها، ولهذا نرى سيبويه يسأل شيخه الخليل عن تصريف هذه الكلمات

3- التعليل:

يرى ابن جني أنّ العلة تكون موجبة للحكم فيقترب بها من علل المتكلمين وتلك علل النحويين، وأعني بذلك حذاقهم المتقنين.. وذلك لأنهم يحيلون على الحس⁹⁶. أمّا الزجاجي فيعرّف العلة بقوله: "إنّ علل النحو ليست موجبة وإنما هي مستتبطة أوضاعاً ومقاييس،

⁹² - منى إلياس: القياس في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط1405هـ - 1985م، ص9.

⁹³ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص48.

⁹⁴ - سيبويه: الكتاب، 11/2.

⁹⁵ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص53.

⁹⁶ - الخصائص، ابن جني: 49/1.

وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها ليس هذا من تلك الطريق⁹⁷. وقد فرّق ابن جني بين العلة الموجبة والعلة المجوزة في باب سمّاه: باب ذكر الفرق بين العلة الموجبة والعلة المجوزة في قوله: "اعلم أنّ أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها كنصب الفضلة أو ما شابه في اللفظ الفضلة ، ورفع المبتدأ والخبر والفاعل وجر المضاف إليه وغير ذلك ، فعلل هذه الداعية موجبة لها غير مقتصر بها على تجويزها وعلى هذا مفاد كلام العرب . وضرب آخر يسمى علة ، وإنما هو في الحقيقة سبب يجوز ولا يوجب ، من ذلك الأسباب الستة الداعية للإمالة هي علة الجواز لا علة الوجوب"⁹⁸. فهذا تعريف للعلة فما هو تعريف التعليل؟

يعرّف علي أبو المكارم التعليل بقوله: "وهكذا كان التعليل بمثابة تفسير للقواعد النحوية، يهدف إلى توضيح القاعدة بالكشف عن مبرراتها" ويقول محمد الأشقر في كتابه معجم علوم اللغة "العلة هي سبب الظاهرة النحوية" إذاً فالتعليل أو العلة في النحو هو منهج يهدف إلى تفسير الظاهرة النحوية كما فهمها النحاة معتمدين في ذلك على إسناد فهمهم إلى قوانين العقل والمنطق. وعلل النحو مختلفة ومتشابهة أنواعها ومضامينها بالنظر إلى المعاني النحوية المراد تفسيرها، فإذا أردنا الحديث عن أنواعها من حيث أهميتها وقوتها نجد الزجاجي قد قسمها إلى ثلاثة أقسام:

أ- العلة التعليمية:

وهذه العلة المراد منها تعليمي، وهي ما يُتوصّل بها إلى تعليم كلام العرب ، يقصد من خلالها الكشف عن خصائص اللغة العربية في علاقة الكلم بعضها بعض بغية الإلمام بهذه العلائق المعنوية بين تراكيب الكلام ، فإذا سمع بعض منها قيس عليه نظيره ، وعُدّ في هذا النوع من العلل ما يتصل بالاستفسار عن موضع كل كلمة رفعت أو نصبت أو جزمت وعن سبب إعطائها هذه الأحكام ، وعن العامل منها في كل من هذه الأحوال ، مثل: قام زيد، زيد: فاعل مرفوع، لأنه هو من قام بالفعل فوجب رفعه لاطراد الرفع مع معنى الفاعلية . ومهمة التعليل بهذه العلة ينسجم وتفسير الواقع اللغوي بهدي من المنهج الوصفي فتتبيّن العلاقات

⁹⁷ - الإيضاح في علل النحو : 64 .

⁹⁸ - الخصائص : 165/1 .

التركيبية للصيغ والمفردات في الجمل و الأساليب وتتضح الوظائف النحوية ، الأمر الذي حدا بالنحاة . الذي أطلقوا عليها (العلل الأول) . أن يتلقوها بالقبول ، ولم يعترض على تلك العلل أكثر النحاة إنكاراً لمبحث التعليل وهو ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) إذ يرى "أنّ العلل الأولى بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر"⁹⁹ .

ب - العلة القياسية:

وتسمى بالعلة الثواني عند ابن مضاء القرطبي، والمقصود بها تفسير الظاهرة النحوية وإبداء جوانب الحكمة في كل ذلك، فهي تحاول أن تربط بين الظواهر المختلفة بملاحظة ما بينها من صلات، أخذ النحاة بها سعياً لطرد الأحكام من ذلك: لماذا جاء الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً. عللوا ذلك بأن الفاعل وروده قليل في كلام العرب، فوضعوا علامة الرفع وهي الضمة الموصوفة بالثقل، فجعلوا الثقل مع القليل طلباً لالتزان اللغوي، و المفعول وروده كثير جداً والفتحة أخف من الضمة، فوضعوا لهذا الكثير الحركة الأخف. ومثال آخر لمن قال: نصبت زيدا ب(إنّ) في قوله: إنّ زيدا قائمٌ: ولمّ وجب أن تنصب (إنّ) الاسم ؟ فالجواب على ذلك بمقتضى هذه العلة أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي، فحملت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته فهي تشبه من الأفعال ما قُدّم مفعوله على فاعله نحو (ضرب أخاك محمد)، وما أشبه ذلك¹⁰⁰.

ج - العلة الجدلية:

وهي العلة الثالوث عند ابن مضاء القرطبي، والمراد بها البحث عن أسباب هذه العلل وإيجاد علل للعلل المتقدمة، وهي محاولة إيجاد علل منطقية على علل النحو أو هي بما يعرف بعلة العلة. "فكلّ ما يعتل به في باب (إنّ) بعد هذا أن يقال : فمن أي جهة شابحت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأيّ الأفعال شبهتموها ؟ أبالماضية أم المستقبلية أم الحادثة في الحال، أم المتراخية، أم المنقضية بلا مهلة ؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأيّ شيء عدلتم بها

⁹⁹ - ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، محمد إبراهيم البنّا، دار الاعتصام، ط1/ 1399هـ، 1979م، ص128.

¹⁰⁰ - ينظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص64 ، وابن الوراق: علل النحو، تح: محمود جاسم الدرويش، ص22 .

إلى ما قُدِّم على مفعوله على فاعله نحو (ضرب زيداً عمرو) ؟ وهلا شبهتموها بما قُدِّم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل وذاك فرع ثانٍ ؟ فأَيُّ علة دعتكم إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول ؟ ...¹⁰¹.

ومن الأمثلة الدالة على التعليل عند المدرسة البصرية تعليل الخليل وسيبويه والبصريين بصفة عامة عن استحقاق الإعراب للأسماء، واستحقاق البناء للأفعال والحروف عللوا ذلك بأن الأسماء كلما كانت متمكنة مكناء فهي أبعد ما تكون عن الحروف فأعربت و نَوَّنت، و لكنَّ الأسماء إذا فقدت هذا التمكن اقتربت من الحروف فشابهتها فبنيت لهذا الشبه بالحروف¹⁰².

وهذا التعليل من قبل البصريين دليل على أنهم السباقون إلى ودراسته واهتمامهم وعنايتهم بالعلة النحوية والبحث عن أسبابها وعللها. كما يدل على براعة الملاحظة لديهم وشدة تمكنهم بالصناعة النحوية . وهذا ما أثبتته الدراسات النفسية الحديثة من أنَّ الأسماء أقوى تمكناً في النفس والعقل¹⁰³.

أعلام المدرسة البصرية وطبقاتهم:

1- الطبقة الأولى:

أ- أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو ، - وقلي: ابن سفيان - بن عمر بن حُلَس ابن نفاعة

بن عدي بن الدئل بن بكر بن كنانة أبو الأسود الدؤلي البصريّ

أول من أسس النُّحُو كَانَ من سَادَات التَّابِعِينَ، وَمَنْ أَكْمَلَ الرِّجَالَ رَأْيَا، وَأَسَدُهُمْ عَقْلًا،

شِيعِيًّا¹⁰⁴ شَاعِرًا سَرِيعَ الْجَوَابِ، ثِقَّةٌ فِي حَدِيثِهِ، رَوَى عَنْ عَمْرِو وَعَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي ذَرٍّ

¹⁰¹ - الزجاجي: الإيضاح في علل النحو: 65 .

¹⁰² - ينظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص 77.

¹⁰³ - ينظر " القياس في النحو، منى إلياس، ص 35

¹⁰⁴ - أي: من شيعة وأنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الفتنة التي حدثت معه.

وغيرهم. وعنه ابنه ويحيى بن يعمر . وصحب علي بن أبي طالب، وشهد معه صفين، وقدم على معاوية فأكرمه وأعظم جائزته، وولي قضاء البصرة، وهو أول من نقط المصاحف¹⁰⁵. قال الجاحظ: أبو الأسود معذور في طبقات الناس، وهو في كلها مقدم ماثور عنه في جميعها، معذور في التابعين، والفقهاء، والمحدثين، والشعراء، والأشراف، والفرسان، والأمراء، والدهاة، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصلح الأشراف، والبحر الأشراف. ومات سنة 69هـ بطاعون الجارف¹⁰⁶.

ب- عبد الرحمن بن هرمز:

عبد الرحمن بن هرمز من أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش. ويروى أن مالكا اختلف إلى ابن هرمز عدة سنين في علم ما لم يبيته في الناس، يرون أن ذلك من علم أصول الدين، وما يرد به مقالة أهل الزيغ والضلالة¹⁰⁷. توفي سنة 117هـ بالإسكندرية¹⁰⁸.

2- الطبقة الثانية:

1- نصر بن عاصم الليثي:

قال السيوطي: "قال ياقوت: كان فقيها عالما بالعربية من قدماء التابعين؛ وكان يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو، وله كتاب في العربية. وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدوانى، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء، وكان يرى رأي الخوارج، ثم ترك ذلك، وقال مات سنة تسع وثمانين¹⁰⁹. أي: 89 هجرية. قال الزبيدي: "وذكر ابن سلام أن نصر بن عاصم أخذ عن يحيى بن يعمر¹¹⁰".

¹⁰⁵ - السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 22/2.

¹⁰⁶ - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، 23/2.

¹⁰⁷ - الزبيدي، أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، ص26.

¹⁰⁸ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص327.

¹⁰⁹ - السيوطي: بغية الوعاة، 2/ 313-314.

¹¹⁰ - الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص26.

2- يحيى بن يعمر العدائوني:

فقيه أديب نحوي مبرز، سمع ابن عمر وجابرا وأبا هريرة، وأخذ النحو عن أبي الأسود.

ولما بنى الحجاج واسطاً سأل الناس: ما عيبها؟ قالوا: لا نعرف لها عيباً، وسندلك على من يعرف عيبها؛ يحيى بن يعمر، فبعث إليه، فسأله فقال: بنيتها من غير مالك، ويسكنها غير ولدك؛ فعضب الحجاج وقال: ما حملك على ذلك! قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم ألا يكتموا الناس حديثاً، فنفاه إلى خراسان، فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها، فقصي في أكثر بلادها: نيسابور ومرو وهراة، وآثاره ظاهرة. توفي سنة تسع وعشرين ومائة¹¹¹.

3- عنبة الفيل:

عنبة بن معدان الفيل ولقب بالفيل لأن أباه كان يروض فيلة للحجاج بن يوسف، تعلم النحو والشعر، لا تعرف سنة وفاته وقد عاصر الفرزدق وجريراً¹¹².

3- الطبقة الثالثة:

عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي:

هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي المتوفى سنة 117 للهجرة، وفيه يقول ابن سلام: "كان أول من بعج" أي: فبق النحو ومدّ القياس وشرح العلل". وبذلك يجعله الواضع الأول لعلم النحو، إذ يجعله أول من اشتق قواعده وأول من طرد فيها القياس، بحيث يحمل ما لم يسمع عن العرب على ما سمع عنهم، ويقول أبو الطيب اللغوي: "فرع عبد الله بن أبي إسحاق النحو وقام وتكلم في الهمز، حتى عمل فيه كتاب مما أملاه". ويروى أن يونس بن حبيب سأله عن كلمة "السويق"، وهو الناعم من دقيق الحنطة، هل ينطقها أحد من العرب "الصويق" بالصاد؟ فأجابه: نعم قبيلة عمرو بن تميم تقولها، ثم قال له: وما تريد إلى

¹¹¹ - السيوطي: بغية الوعاة، 345/2

¹¹² - الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 29.

هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس. وهو لم يُعَنَّ بالقياس على قواعد النحو فحسب، بل عني أيضا بالتعليل للقواعد تعليلًا يمكن لها في ذهن تلاميذه. وجعله تمسكه الشديد بتلك القواعد المعللة والقياس عليها قياسًا دقيقًا بحيث لا يصح الخروج عليها، يخطئ كل من ينحرف في تعبيره عنها، وكان لذلك كثير التعرض للفرزدق لما كان يورد في أشعاره من بعض الشواذ النحوية، ويذكر الرواة أنه حين سمعه ينشد قوله في مديحه لبعض بني مروان:

وعض زمان يابن مروان لم يدع *** من المال إلا مسحًا أو مجرفًا

اعترضه؛ لرفعه قافية البيت وكان حقها النصب لأنها معطوفة -كما يتبادر- على كلمة "مسحًا" المنصوبة، أو بعبارة أدق: لأن القياس النحوي يحتم ذلك ويوجبه. ويظهر أن الفرزدق قصد إلى الاستئناف حتى لا يحدث في البيت إقواء يخالف به حركة الروي في القصيدة¹¹³.

4- الطبقة الرابعة:

أبو عمرو بن العلاء:

زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التيمي المازني. وهو بصري، أخذ عن ابن أبي إسحاق، وكان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها من عبد الله بن أبي إسحاق. وكان من جلة القراء والموثوق بهم. كان يقرئ الناس القرآن في مسجد البصرة، والحسن بن أبي الحسن حاضر.

قال يونس: "لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يؤخذ كله. ولكن ليس من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك".

قال: وكان أبو عمرو يُسلم للعرب ولا يطعن عليها. وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق:

¹¹³ - الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 31 - 32 - 33. وشوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 23.

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها *** حتى أتيتُ أبا عمرو بنَ عَمَّارٍ

وأخافه الحجاج بن يوسف فكان يتستر . قال : فخرجت في الغلس أريد التنقل من الموضع

الذي كنت فيه إلى غيره، فسمعت منشداً يُنشد:

ربِّما تَكَرَّه النَّفُوسُ مِنَ الْأُمِّ ... رِ له فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

وسمعتُ عجوزاً تقول : مات الحجاج. فما أدري بأيهما كنت أُسرَّ، أبقول المنشد :

" فَرْجَةٌ " بالفتح، أم بقول العجوز : مات الحجاج؟

قال أبو علي: الفَرْجَةُ في الأمر بالفتح، والفَرْجَةُ بالضم في الحائط وغيره¹¹⁴.

وقال ابن قتيبة : وكانت وفاة أبي عمرو في طريق الشام، وذلك أنه خرج إليها يجتدي عبد

الوهاب بن إبراهيم، فمات سنة أربع وخمسين ومئة، وله عقب بالبصرة¹¹⁵.

الأخفش الكبير:

أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من شيوخه أبو عمرو بن العلاء و من

تلاميذه عيسى بن عمر وسيبويه اشتهر بالأخذ عن العرب في البوادي، ذكر الذهبي أنه لا

تعرف سنة وفاته¹¹⁶ و لكنَّ محمدا الطنطاوي قال في (نشأة النحو) أنه توفي سنة 177

هجريّة. (والأخفش هو ضعيف البصر).

عيسى بن عمر الثقفي:

مولى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، نَزَلَ فِي ثَقِيفَ، فَنسَبَ إِلَيْهِمْ. إِمَامٌ فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْقِرَاءَةِ،

مَشْهُورٌ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

وَالْعَجَاجِ بْنِ رُؤْبَةَ وَجَمَاعَةٍ، وَعَنْهُ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ.

وصنّف فِي النَّحْوِ : الْإِكْمَالُ، وَالْجَامِعُ؛ وَفِيهِمَا يَقُولُ تَلْمِيزُهُ الْخَلِيلُ :

بَطَلَ النَّحْوُ جَمِيعًا كُلُّهُ ... غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عِيسَى بْنُ عَمْرٍو

¹¹⁴ - الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص35.

¹¹⁵ - المصدر السابق : ص40.

¹¹⁶ - الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، ط3/ 1405هـ -

ذَٰكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ ... فهما للنَّاسِ شمسٌ وقمر

قَالَ السِّيرَافِيُّ: وَلَمْ يَقْعَا إِلَيْنَا وَلَا رَأَيْنَا أَحَدًا ذَكَرَ أَنَّهُ رَأَاهُمَا.

وَيُقَالُ: إِنَّ لَهُ نَيْفًا وَسَبْعِينَ مَصْنَفًا ذَهَبَتْ كُلُّهَا.

وَكَانَ يَتَقَرَّرُ فِي كَلَامِهِ؛ حَكَى عَنْهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ سَقَطَ عَنْ حَمَارٍ،

فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ تَكْأُ كَأْتُمْ عَلَى كَتَأٍ كُنْكُمْ عَلَى ذِي جَنَّةٍ، افْرَنْقَعُوا عَنِّي.

وَاتَّهَمَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ بَوَدِيعَةٍ، فَضَرِبَهُ نَحْوَ أَلْفِ سَوْطٍ؛ فَجَعَلَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ إِلَّا أَثْيَابًا

فِي أَسْفَاطٍ، قَبْضُهَا عَشَارُوكَ.

مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ - وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ - وَمِائَةٍ¹¹⁷. (أي: 149 هـ وقيل 145 هـ)

5- الطبقة الخامسة:

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي نسبا، و البصري مولدا ونشأة ولد سنة 100

هجريّة.

من شيوخه: أبو عمرو بن العلاء و عيسى بن عمر و أيوب السخيتاني، ومن تلاميذه

سيبويه و النضر بن شميل و الأصمعي... كان آية في الحفظ متواضعا ورعا، قنوعا قليل

المال يروى عنه أن سليمان بن علي والي فارس و الأهواز بعث له رسولا يدعوه لتعليم ولده

فلم يقبل الخليل هذه الدعوة و أخرج لرسول سليمان خبزا يابسا و قال مادام هذا عندنا فلا

حاجة لنا بسليمان فقال له رسول سليمان

و لكن ماذا أقول له فأنشد: (البسيط)

أبلغ سليمان أني عنه في سعة... و في غنى غير أني لست ذا مال

شحا بنفسيّ أني لا أرى أحدا... يموت هزلا و لا يبقى على حال

كما كان الخليل عالما بالحساب و الموسيقى و هو أول من اكتشف علم العروض و

ينسب إليه معجم العين. توفي سنة 175 هجريّة¹¹⁸.

¹¹⁷ - السيوطي: بغية الوعاة، 2/237.

¹¹⁸ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص47 فما بعدها، وشوقي ضيف: المدارس النحوية، ص30-31-32.

يونس بن حبيب الضبي:

من شيوخه أبو عمرو بن العلاء، و من تلاميذه الكسائي و الفراء . سمع عن العرب فغدا مرجعا لأهل الأدب و اللغة كانت له حلقة بالمسجد الجامع بالبصرة يقصدها طلاب النحو وفصحاء الأعراب له قياس متميز في النحو، و مذاهب خاصة به . قَالَ السيرافي: بارع في النَّحْو، من أَصْحَاب أَبِي عَمْرٍو بن الْعَلَاء، سمع من الْعَرَب، وروى عَنْ سِبْيَوِيهِ فَأَكْثَرَ، وَلَهُ قِيَاسٌ فِي النَّحْو، ومذاهب يتفرد بها. سمع مِنْهُ الْكَسَائِيُّ وَالْفَرَاء. وَكَانَتْ لَهُ حَلَقَةٌ بِالْبَصْرَةِ يَنْتَابُهَا أَهْلُ الْعِلْمِ وَطَلَابُ الْأَدَبِ وفصحاء الأعراب والبادية عاش طويلا و لم يتزوّج و لم يتسرّ ولد سنة 90 و توفي سنة 182 هجرية¹¹⁹.

6- الطبقة السادسة:

أبو محمد اليزيدي:

يحيى بن المبارك بن المغيرة مولى بني عدي الإمام، كنيته أبو محمد واشتهر بـ: اليزيدي، النحوي المقرئ اللغوي، نشأ بالبصرة وبها تعلّم ، حدّث عن أبي عمرو بن العلاء ويونس والخليل . وهو الذي خلف أبا عمرو في القراءة. أخذ عن الخليل اللغة والعروض. روى عنه عنه ابنه محمد وأبو عبيد وخلق. سكن بغداد وكان مؤدبا بها لأولاد يزيد بن منصور الحميري، وعنه أخذ لقبه، كان من القراء والفصحاء المتضلعين في اللغة العربية ولهجاتها وعلم النحو . من تصانيفه: المقصور والممدود، النقط والشكل والنوادر ولقد ورث عنه النحو واللغة كثير من أولاده وأحفاده توفي بخراسان سنة 202 هجرية¹²⁰.

سبويه:

عمرو بن عثمان بن قنبر، كنيته أبو بشر و قيل: أبو الحسن، و اشتهر بـ: سبويه و هي كلمة فارسية معناها (رائحة التفاح)، فارسي الأصل من موالى بني الحارث بن كعب ولد بمكان يسمى البيضاء إحدى حواضر مدينة شيراز و نشأ بالبصرة و بها تعلم

¹¹⁹ - ينظر: السيوطي : بغية الوعاة، 2/ 365.¹²⁰ - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، 2/ 340.

و من شيوخه الخليل و يونس بن حبيب و الأخفش...ألف (الكتاب) و هو أشهر ما ألف في النحو و يقال إن كل من ألف في النحو بعد الكتاب كان عالة عنه، كما كان يقال لدارس النحو (هل ركبتم البحر؟) كناية عن زخمه و صعوبته و لقد قال الزمخشري في الإشادة بسيبويه و الكتاب: (من الوافر):

ألا صلى الإله صلاة صدق ... على عمرو بن عثمان بن قنبر

فإن كتابه لم يغن عنه ... بنو قلم و لا أبناء منبر

ومن إطرء الخليل لسيبويه أنه أقبل عليه ذات يوم فقال له: مرحبا بزائر لا يمل.

اختلف في سنة وفاته والأشهر أنها 180 هجرية¹²¹.

أبو عمر الجرمي:

هو أبو عمر صالح بن إسحق الجرمي نسبة لقبيلة (جرم) و هي من قبائل اليمن.

ولد بالبصرة وبها تلقى علومه الأولى لمجالسته علماءها في النحو و اللغة، من شيوخه:

يونس بن حبيب والأخفش الأوسط .. لم يلق سيبويه و لكن درس (الكتاب) فغدا المرجع

الأول فيه.. كان أدبيا شاعرا عالما بالحديث و أخبار العرب، كانت له مناظرات مع العلماء

و منها مناظرته للأصمعي و الفراء، توفي سنة 225 هجرية من آثاره: الأبنية، غريب

سيبويه، و كتاب في العروض.

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط:

هو سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى بني مجاشع، يُكنى أبا الحسن، هو أوسط

الأخافشة فالأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد والأصغر وهو أبو الحسن علي

بن سليمان¹²². ولد ببلخ ونشأ بالبصرة و بها تعلم. وكان سعيد بن مسعدة أكبر من سيبويه،

وصحب الخليل قبل صُحْبته لسيبويه. وكان مُعلِّماً لوَلد الكسائي، وقرأ عليه الكسائي كتاب

¹²¹ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص66 فما بعدها.

¹²² - قال عنه الزبيدي في طبقات النحويين ص72-73: "سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى بني مجاشع، يُكنى أبا الحسن، أخذ عن سيبويه، ويُعرف بالأخفش الصغير¹²²؛ لأن الأخفش الكبير هو عبد الحميد بن عبد المجيد، ويُكنى أبا الخطاب".

سيبويه، فوهبه سبعين ديناراً. كان عالماً بالنحو و الغريب ألف كثيراً و لكن فقدت مؤلفاته و هو من استدرك على الخليل (بحر المتدارك)

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحته الأخفش، وكان ببغداد، وكان الطوسي مستمليه. قال: ولم أدركه لأنه كان قبل عصرنا، وكان يقال له : الأخفش الراوية . توفي الأخفش سعيد بن مسعدة سنة 211 و قيل سنة 215 هجرية¹²³.

7- الطبقة السابعة:

أبو عثمان المازني:

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني، أحد بني مازن بن شيبان بن ذهل. ووجدت حكاية عن الخشني قال: بكر بن محمد المازني، مولى بني سدوس، نزل في بني مازن بن شيبان. من شيوخه الأصمعي وأبو عبيدة و الأخفش، ومن تلاميذه المبرد الذي قال عنه: لم يكن أحد بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني. كان المازني ذا ورع وتقوى حافظاً للقرآن الكريم. توفي سنة 247 و قيل 248 هجرية وله من الكتب: علل النحو، وكتاب التصريف¹²⁴.

أبو حاتم السجستاني:

هو أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد، شبّ بالبصرة وبها تعلّم أخذ عن الأصمعي و أبي عبيدة معمر بن المثنى وسمع عن الأخفش كتاب سيبويه. " الإمام، العلامة، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، ثم البصري، المقرئ، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف. أخذ عن يزيد بن هارون، ووهب بن جرير، وأبي عبيدة بن المثنى، وأبي زيد

¹²³ - ينظر: المصدر السابق: ص 72-73-74.

¹²⁴ - ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 270/12 فما بعدها.

الأنصاري، وأبي عامر العقدي، والأصمعي، ويعقوب الحصري، وقرأ عليه القرآن، وتصدّر للإقراء والحديث والعريّة. حدّث عنه: أبو داود، والنسائي في كتابيهما، وأبو بكر بن دريد، وأبو روق الهزاني، وعدّد كثير. وتخرّج به أئمّة، منهم أبو العباس المبرّد، وكان جماعةً للكتب يتجرّ فيها وله باعٌ طويلٌ في: اللغات، والشعر والعروض، واستخراج المغمى¹²⁵.

توفي سنة 249 هجرية مع اختلاف في ذلك. من مصنفاته: إعراب القرآن، وكتاب في الإدغام، وكتاب في المقصور، وكتاب القراءات، وكتاب الوحوش، وكتاب الفصاحة، وكتاب اختلاف المصاحف

قطرب محمد بن المستنير:

محمد بن المستنير، كنيته أبو علي النحوي، ولقبه المشهور به قطرب. ولد بالبصرة وبها نشأ وتعلّم من شيوخه عيسى بن عمر وكان كثير الزيارة لسيبويه و يروى أنه كان يغشاه ليلاً للتعلم فقال له سيبويه ذات ليلة: ما أنت إلا قطرب ليل.

(والقطرب دويبة تخرج ليلاً و لا تفتر عن الحركة). فغلب عليه هذا اللقب كان حافظاً للغة كثير النوادر والغريب ومن مؤلفاته: مثلثات قطرب، النوادر، الصفات، الأصوات، العلل في النحو الأضداد، الهمز، خلق الإنسان، خلق الفرس، إعراب القرآن، مجاز القرآن، المصنف الغريب في اللغة... توفي سنة 206 هجرية¹²⁶.

الرياشي:

هو العباس بن الفرّج أبو الفضل الرياشي اللغوي النحوي، ولد بالبصرة سنة 177 هجرية، و نشأ بها انتقل إليه لقب (الرياشي) من أبيه الذي كان يخدم رجلاً اسمه (رياش) فغلب عليه هذا اللقب. من شيوخه: المازني و الأصمعي. قال مروان بن عبد الملك: "سمعت العباس بن الفرّج - يعين: الرياشي- يقول: تحفّظتُ كتبَ أبي زيدٍ ودرستُها، إلّا أني لم أجالسه مجالستي للأصمعي، وأما كتب الأصمعي فإني حفظتها لكثرة ما كانت تتردّد على سمعي لطول مجالستي له . قال: " وكنْتُ أقرأ على أبي زيد، ولعلّ حفظي كان قريباً من

¹²⁵ - ينظر: المصدر السابق، 268/12 فما بعدها.

¹²⁶ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 99 فما بعدها.

حفظه. قال السيرافي: وكان عالماً باللغة و الشعر، كثير الرواية عن الأصمعي، و أخذ عن المبرّد و ابن دريد، و ريش رجل من جذام، كان أبوه عبداً، فنسب إليه " . مات غيلة في حادثة تسمى (موقعة الزنج) بالبصرة سنة 257 هجرية¹²⁷.

8- الطبقة الثامنة:

المبرّد:

هو محمد بن يزيد الأزدي ولد بالبصرة واختلف في سنة مولده ف قيل 210 و قيل 207 كما قيل 195 هجرية، من شيوخه: الجرمي والسجستاني والمازني الذي لقبه بالمبرّد (بكسر الراء) بمعنى المحقق اعترافاً بفطنته، غير أن الكوفيين فتحوا الراء نكايه فيه... جاء في كتاب (العقد الثمين في تراجم النحويين): "قال ابن حمّاد النحوي: ... و كان المبرّد أكبر تقننا في جميع العلوم من ثعلب، قلت: له تصانيف كثيرة يقال: إنّ المازنيّ أعجبه جوابه، فقال له: قم فأنت المبرّد، أي المثبت للحق، ثم غلب عليه بفتح الراء". كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم و غزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، ومُلوكيّة المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة القريحة، وقُرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعُدوبة المنطق ... على ما ليس عليه أحد ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه . توفي المبرّد سنة 285 هجرية ببغداد ومن تصانيفه: المقتضب ، والكامل في اللغة والأدب، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المذكر والمؤنث¹²⁸ . وقال عنه شوقي ضيف: " والمبرّد يُعدُّ - بحق - آخر أئمة البصرة المُهمّين"¹²⁹.

لقد ذكرنا في هذه المحاضرة أهم أعلام النحاة البصريين المشهورين وطبقاتهم واعتمدنا في تصنيف الطبقات على ترتيب أبي بكر الزبيدي، وهذا من الذكر لا الإحصاء.

¹²⁷ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 97 فما بعدها.

¹²⁸ - ينظر: المصدر السابق، ص 101 حتى إلى 11.

¹²⁹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 124.

المحاضرة السابعة

المدرسة الكوفية: منهجها، و أعلامها.

الكوفة:

الكوفة مدينة مشهورة بالعراق قيل سميت كوفة لاستدارة بنائها، وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوّف الرمل. وقيل فيها غير ذلك¹³⁰.

أسسها الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عام 17 للهجرة. يقول مهدي المخزومي: "وتم تخطيط الكوفة على يد سعد بن أبي وقاص، بعد تخطيط البصرة بسنتين أو ثلاث و كان قد نزل بها المسلمون في السنة السادسة عشرة أو في السنة السابعة عشرة"¹³¹.

وتقع الكوفة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط بالعراق جنوب بغداد وتبعد عنها بحوالي 156 كلم.

الكوفة و النحو:

ولا نكاد نعرف في الكوفة نحويًا - بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة - قبل الكسائي ، ولكن القدماء - ولعلمهم من الكوفيين - أبوا إلا أن يكون لهم نحو متميز قديم ، أو أن يكون لهم - على الأقل - نحاة قبل الكسائي الذي أخذ عن البصريين .

لقد رأينا أن تأسيس مدينة الكوفة كان متزامنا تقريبا مع تأسيس مدينة البصرة، إلا أن البصرة سبقت الكوفة إلى النحو بزهاء مئة عام، فالنحو إذن لم ينشأ في الكوفة، وإنما وفد عليها من البصرة، ونشره فيها بصريون جاءوا إلى الكوفة، واستوطنوها؛ وكوفيون رجعوا من البصرة بعد ما تتلمذوا على شيوخها، لينشروا بين الدارسين ما تعلموه هناك¹³²، في حين أنّ

¹³⁰ - ياقوت الحموي : معجم البلدان، 4/490

¹³¹ - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو واللغة، ص3.

¹³² - ينظر: المرجع السابق، ص39.

الكوفة كانت منشغلة بالشعر وروايته، غير آخذة من علم النحو بأي طرف، في حين كانت حركة الدرس النحوي في البصرة نشيطة، و يجمع مؤرخو النحو العربي على أن الكسائي هو أول من نقل النحو إلى الكوفة، ذلك أنه كان من علماء القراءات القرآنية فأيقن ألا مندوحة له عن الاغتراف من علم النحو، إيماناً منه بأن النحو سيفتح له أبواباً كثيرة في علم القراءات و علم التفسير.

يقول مهدي المخزومي: "وشرعت الكوفة منذ أوائل القرن الثاني للهجرة تقريباً تنشئ لنفسها مدرسة، وترسم لها منهاجاً جديداً، له طابع خاص، أملتة على الدارسين بيئة الكوفة، ومناهج الدراسة التي نهجها القراء والمحدثون. وأخذت هذه المدرسة تنهج لنفسها سبلاً جديدة، حتى تم لها الاستقلال في أواسط هذا القرن، على يد علي بن حمزة الكسائي و تلميذه يحيى بن زياد الفراء"¹³³. وتقول خديجة الحديثي: "...فانصرف أهل الكوفة عن شؤون الحياة الأخرى، و اهتموا بالشعر...عن الدرس اللغوي و النحوي الذي شاركت فيه الكوفة في عهد متأخر عن البصرة التي سبقتها إلى ذلك بمائة عام...وكان الكسائي أبرز من اهتم بالدراسات النحوية و أدخلها إلى الكوفة و نشطها... فقد وجد الكسائي نفسه محتاجاً إلى الإلمام بعلم اللغة ليقدم قراءاته و ليساعده على تفسير القرآن الكريم"¹³⁴

منهج المدرسة الكوفية في النحو:

لقد ذكرنا في محاضرة مناهج المدارس النحوية بشيء من التفصيل منهج مدرسة الكوفة. وفي هذه المحاضرة سنذكر به، ونتطرق إلى خصائص منهج الدراسة النحوية عند مدرسة الكوفة:

1 - منهج السماع عند الكوفيين:

اتخذ الكوفيون السماع مصدراً من مصادر دراساتهم النحوية، فلقد ارتحل نحاة الكوفة إلى البوادي والقفار كما ارتحل نحاة البصرة، ومثال ذلك: الكسائي إمام الكوفيين فقد ارتحل

¹³³ - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص39.

¹³⁴ - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص118 فما بعدها.

إلى نجد وتهامة والحجاز... غير أنّ الكوفيين كانوا لا يتخرجون أن يأخذوا من قبائل متاخمة للفرس كتغلب و بكر... وكانوا يقبلون الشاذ والقليل والنادر، الكلام المجهول القائل وذاك ما لم يقبله البصريون الذين كانوا يفتخرون بسماعهم على سماع الكوفيين و يقولون: " نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب و أكلة اليرابيع و أنتم تأخذونها عن أكلة الشوايرز و باعة الكواميخ" ومن مظاهر النقل عن القليل و الشاذ عند الكوفيين حسبانهم (نعم) و(بئس) اسمين . جاء في كتاب: (الإنصاف في مسائل الخلاف) ما نصه: " ذهب الكوفيون إلى أن (نعم) و(بئس) اسمان مبتدآن..فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الخفض عليهما فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول: (ما زيد بنعم الرجل)، وحكي (نعم السير على بئس العير)"

2- منهج القياس عند الكوفيين:

القياس عند الكوفيين منهج أصيل بني به النحو، و هو السبيل الأمثل في اتساع اللغة من خلاله... كما رأينا من قبل.

وقد درسنا فيما سبق من دروس تشدد البصريين في القياس إذ كانوا لا يقيسون إلا على ما سمعوه عن العرب الخالص، غير أنّ الكوفيين توسعوا و ترخصوا فقاسوا على النادر والشاذ، بل وقاسوا على لغة من فسدت ألسنتهم من أهل البدو و الحضر... و الأكثر من ذلك أنهم قاسوا على غير المسموع.. يقول الدكتور شوقي ضيف: " و يبقى أن تعرف أن الكوفيين لم يقفوا بقياسهم عند ما سمعوه ممن فسدتهم سلاتتهم من أعراب المدن، أو ما شذّ على السنة بعض أعراب البدو، فقد استخدموا القياس أحيانا بدون استناد إلى أي سماع" . و سنذكر في ما يلي نماذج من القياس عند الكوفيين:

- التوسع في القياس على صيغة (ما أفعله) في التعجب:

و المعلوم أنّ هذه الصيغة عند البصريين مرتبطة بشروط، و منها قابلية الأفعال للتفاضل في معانيها و ذلك ما لا يتحقق في الأفعال التي تدل على لون، أي لون... فلا يقال: ما أزرقه و لا ما أبيضه و لا ما أسوده.... غير أن الكوفيين أجازوا ذلك في السواد و البياض و حجتهم أن هذين اللونين أصلان لكل الألوان الأخرى.

و جاء في كتاب: (الإنصاف في مسائل الخلاف) ما نصه: " وأما القياس فقالوا: إنما جَوَزنا ذلك من السواد و البياض دون سائر الألوان لأنهما أصلا الألوان، و منها يتركب سائرها من الحمرة و الصفرة و الخضرة و الصهبة و الشهبه و الكهبة إلى غير ذلك "

3 - منهج الرواية عند الكوفيين:

لقد كان الكوفيون أكثر اهتماما بالشعر وروايته من البصريين، حيث كان في الكوفة رواة الأشعار والشعراء والنسابون، وأصحاب الأخبار التي تتصل بأيام العرب و حياة الأبطال. غير أن الدارسين أثبتوا أن الكوفيين باعتدادهم بما عندهم من الشعر وروايته جرّ عليهم ذلك ضخامة في المادة اللغوية أدت بالضرورة إلى خلط واضطراب في درسم اللغوي، خاصة وأن هذه الضخامة اللغوية أملاها عليهم أعلام متهمون في الأمانة والموضوعية إلى حدّ النحل و الزيادة، من أمثال: (خلف الأحمر) و (حمّاد الراوية)... يقول مهدي المخزومي: "الكوفة هي التي حفظت لنا ذخائر العرب، من مطولات ومقطعات تتصل بالحماسة وغيرها من الموضوعات التي كانت تهم العرب في حياتهم ومعاشهم. وقد وجد فيها من الشعراء مجموعة كبيرة لافتة، ففيها من الشعراء: أبو زبيد الطائي، الذي كان قد قدم الكوفة في ولاية الوليد بن عقبة، وكان نديما له ". والكميت بن زيد، وكان عالما بلغات العرب، خبيرا بأيامها، وقد سئل معاذ الهراء عن أشعر الناس، فذكر جاهليين وإسلاميين، فلما سئل عن الكميت قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين"¹³⁵. وقد اشتهر فيها ثلاثة رواة يقال لهم الحمّادون: "حمّاد عجرد، وحمّاد بن الزبرقان، وحمّاد الراوية، ينتادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار، ويتعاشرون معاشرة جميلة، وفيها غير هؤلاء: مطيع بن إياس، ووالبة ابن الحباب أستاذ أبي نواس، وأبو نواس نفسه، وأبو العتاهية، وغيرهم. والمفضل الضبي، صاحب المفضليات، الذي اجتمع على توثيقه أهل الكوفة، وروى عنه من البصريين أبو زيد الأنصاري، مع أن أهل البصرة كانوا لا يروون عن أهل الكوفة شيئا"¹³⁶.

¹³⁵ - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص38.

¹³⁶ - ينظر: المرجع السابق، ص39.

ويذكر مهدي المخزومي السبب الذي جعل الكوفيين يهتمون برواية الأشعار ورواية الأدب وأيام العرب وأخبارها "يرجع إلى أنها لا تزال تحتفظ بعادات العرب ، وتقاليدها الأولى، وتغنيها بالبطولة، وتفاخرها بالأبطال، وذلك لأنها منزل العناصر العربية الأرستقراطية، وموطن أمراء القبائل"¹³⁷.

4 - التعليل عند الكوفيين:

لقد اتخذ الكوفيون التعليل منهجا نحويا للتوجيه النحوي، تبرير الظواهر اللغوية وأحكام الإعراب استناداً إلى كثرة الاستماع، وحمل النظر على نظيره، وقبول الشواذ، و من خلاله تتجلى عبقرية الواضع العربي و دقته غير أنّ للتعليل حدوداً لا تجيز تجاوز حدّ اللغة ومقتضياتها الطبيعية.. و لما أوغل فريق من النحاة في التعليل أدخلوا النحو في جدل عقيم وإغراب شديد، ومن أجل ذلك حمل بعض الدارسين على الكوفيين إفراطهم في التعليل إلى حدّ القفز على حقيقة اللغة والوصول به إلى متاهات الفلسفة والجدال ومحاولة إيجاد منطق خاص باللغة... ومن صنيعهم أنهم علّلوا تجويزهم تقديم خبر (مازال) ومنعهم ذلك في خبر (مادام) أن (مادام) لا تنفي الفعل إنما تنفي مفارقتها. يقول المهدي عبد العال: " وقد يلجأ الكوفيون إلى التعليل الفلسفي الخالص الذي يخرج عن روح اللغة، إذ إنّ اللغة مبناها على الإلف والعرف والتدوّق الخالص الخاص بأهلها الناطقين بها و من ذلك تعليلهم لرأيهم في جواز تقديم خبر مازال وأخواتها عدا مادام بأنها لا تنفي الفعل و إنما تنفي مفارقة الفعل"¹³⁸

أعلام المدرسة الكوفية وطبقاتهم:

1- الطبقة الأولى:

أبو جعفر الرّؤاسي:

هو أبو جعفر الرّؤاسي محمد بن الحسين بن أبي سارة، مولى محمد بن كعب القرظي، غلب عليه لقب الرّؤاسي لكبر رأسه، ولد بالكوفة وبها نشأ وسمع عن عمه معاذ بن

¹³⁷ - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص39.

¹³⁸ - النحو و النحاة، المهدي عبد العال، دار الكلمة، مصر، 1433هـ/2012م، ط1، ص 458

مسلم الهراء، ثم ارتحل إلى البصرة وأخذ النحو واللغة عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، ثم عاد إلى الكوفة وظل مشغلاً بالنحو وتماينه، توفي في زمن هارون الرشيد سنة 193 هـ. من آثاره: الفيصل، معاني القرآن، التصغير و الوقف و الابتداء¹³⁹. ولم تذكر المصادر القديمة والحديثة شيئاً من نحو أبي جعفر الرئاسي، كما ذكر ذلك إبراهيم السامرائي في كتابه المدارس النحوية أسطورة وواقع¹⁴⁰، وشوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية¹⁴¹.
معاذ الهراء:

أبو مسلم معاذ الهراء، و قيل معاذ بن مسلم، لقب بالهراء لبيعه الثياب الهروية، من موالى القرظي وهو عم الرئاسي، كان مؤدباً لعبد الملك بن مروان، وذكر أنه أول من تكلم في التصريف، من تلاميذه الكسائي عاش طويلاً و توفي سنة 187 هـ¹⁴².

2- الطبقة الثانية:

الكسائي:

أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله، فارسي الأصل من موالى بني أسد ، ولد بالكوفة و بها نشأ وأكب منذ نشأته على حلقات القراءة مثل سليمان بن أرقم راوي قراءة الحسن البصري، وأبي بكر شعبة بن عياش راوي قراءة عاصم بن أبي النجود إمام قراءة الكوفة في الجيل السابق للكسائي، وسفيان بن عيينة راوي قراءة عبد الله بن كثير إمام قراءة مكة. ولزم حلقة حمزة بن حبيب الزيات المتوفى سنة 156 للهجرة إمام قراءة الكوفيين لعصره، حتى حذق قراءته، وتعلم النحو في كبره على شيوخ منهم: معاذ الهراء، وسافر إلى البصرة وتلمذ على يد عيسى بن عمر والخليل بن أحمد الفراهيدي. وكان إماماً في النحو ومن القراءة السبعة الذين تواترت قراءاتهم في القراءات، لقّب بالكسائي لأنه أحرم في كساء وقيل غير هذا... من تلاميذه في القراءات: أبو عمر الدوري وأبو الحارث الليث... لما عاد إلى الكوفة ازدهر النحو به وشاع فاشتهر الكسائي ودعاه المهدي أحد الخلفاء العباسيين إلى بغداد،

¹³⁹ - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، 82/1-83، وشوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 153-154.

¹⁴⁰ - ينظر: إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية، أسكورة وواقع، ص 32.

¹⁴¹ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 153-154.

¹⁴² - السيوطي: بغية الوعاة، 290/2-291.

ولما آلت الخلافة إلى الرشيد اختاره مؤدبا لولديه: الأمين والمأمون، فطغى النحو الكوفي على بغداد، زار البوادي و جمع العربية من أعرابها الخالص توفي الكسائي سنة 189هـ و من تصانيفه: كتاب في معاني القرآن ، ومختصر النحو، وكتاب في الحدود، وكتاب ما تلحن فيه العامة¹⁴³.

الحياني:

أبو الحسن علي بن حازم بن المبارك، أصله من بني لحيان فنسب إليهم، تتلمذ للكسائي و غيره توفي سنة 220هـ من مؤلفاته: كتاب النوادر شريف، كان الفراء إذا أَمَلَّ كتابه في "النَّوَادِر" ودخل اللُّحَيَانِيَّ أَمْسَكَ عن الإِمْلاء حتى يخرج، فإذا خرج قال: هذا أَحْفَظُ النَّاسِ لِلنَّوَادِر¹⁴⁴.

3- الطبقة الثالثة:

الفراء:

أبو زكريا يحيى بن زياد، بن عبد الله بن منصور الدَّيْلَمِيّ، نسبة إلى الديلم أحد أقاليم فارس. كان أبرع الكوفيين في علمهم . لقب بالفراء واختلف في سبب ذلك، قيل لأنه كان يفري الكلام أي يقطعه، وقيل لأنه يخييط الثياب من الفراء أي الجلد، وقيل غير ذلك ولد بالكوفة، وبها نشأ وتعلم، من شيوخه: الكسائي ويونس بن حبيب والرؤاسي، كان عالما بأيام العرب وأشعارها، اتصل بالمأمون ونال عنده الحظوة، وكان يعيش متنقلا بين بغداد والكوفة. مات سنة 207 هـ. من كتبه: معاني القرآن، الحدود و هو كتاب في النحو، الجمع والتنشئة في القرآن و كتب أخرى¹⁴⁵.

¹⁴³ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 172 حتى 175.

¹⁴⁴ - ينظر : طبقات النحويين واللغويين، ص195.

¹⁴⁵ - ينظر: المصدر السابق، ص131-132-133.

4- الطبقة الرابعة:

محمد بن قادم:

ويقال: أحمد، وهو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن قادم، وهو أستاذ ثعلب . قال الأورجي الكاتب: حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق البهلولي القاضي الأنباري؛ أنه وأخاه البهلول دخلا مدينة السلام في خمس وخمسين ومئتين، فدارا على الحلق يوم الجمعة، فوقفا على حلقة فيها رجل يتلهب ذكاء، ويجيب عن كل ما يُسأل عنه من مسائل القرآن والنحو والغريب وأبيات المعاني، فقلنا: مَنْ هذا؟ فقالوا: أحمد بن يحيى ثعلب. فبينما نحن كذلك، إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا، فقال لأهل الحلقة: أفرجوا. فأفرجوا له حتى جلس إلى جانبه، ثم سأله عن مسألة، فقال: قال أبو جعفر الرؤاسي فيها كذا، وقال أبو الحسن الكسائي فيها كذا، وقال الفراء فيها كذا، وقال هشام فيها كذا، وقلتُ كذا. فقال له الشيخ: لن تراني أعتقد في هذه المسألة إلا جوابك، فالحمد لله الذي بلغني هذه المنزلة فيك. فقلنا: مَنْ هذا الشيخ؟ فقالوا: أستاذهُ محمدُ بنُ قادمِ النحوي، أستاذ ثعلب¹⁴⁶.

5- الطبقة الخامسة:

ثعلب:

أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب. قال عنه مهدي المخزومي في كتابه: مدرسة الكوفة: "وهو ثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة الكوفة النحوية، وهو بغدادى المولد والمنشأ، وكان شيبانيا بالولاء " ولد سنة 200 هـ، حفظ القرآن الكريم منذ صباه وأخذ النحو عن الطوال وابن قادم وسمع عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني توفي سنة 292 هـ صنف تصانيف كثيرة في النحو واللغة والأمثال لكن لم تبق لها يد البلى أثرا إلا كتاب (مجالس ثعلب) في النحو واللغة والأخبار والأشعار ومعاني القرآن¹⁴⁷.

¹⁴⁶ - ينظر : الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص138.¹⁴⁷ - ينظرا: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص144 فما بعدها.

6- الطبقة السادسة:

نفطويه:

هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي المعروف بنفطويه . وكان أديباً متفناً في الأدب، حافظاً لنقائض جرير والفرزدق وشعر ذي الرمة وغيرهم من الشعراء. وكان يروي الحديث، وكان ضعيفاً في النحو، وكان يخضب رأسه ولحيته إلى أن مات . وتوفي ببغداد سنة 323هـ يوم الأربعاء لخمس خلون من صفر¹⁴⁸.

وفي هذه الطبقة التي تمثل مرحلة من تاريخ النحو الكوفي، يعتبر نحاتها من النحاة الذين جمعوا بين المذهبين البصري والكوفي، من أمثال ابن كيسان، وأبي بكر الأنباري.

¹⁴⁸ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 154.

المحاضرة الثامنة: المدرسة البغدادية: منهجها و أعلامها.

التعريف بمدينة بغداد:

ذكر في تسميتها ثلاث لغات: بغداد (بالدال الثانية مهملة)، وبغداد (بالذال المعجمة) وبغدان (بالنون). وبغداد هي الأصل والأشهر. جاء في (المصباح المنير) للفيومي ما نصه: "بغداد اسم بلد يذكر ويؤنث، والدال الأولى مهملة، وأما الثانية فيها ثلاث لغات: دال مهملة وهو الأكثر، والثانية نون، والثالثة وهي الأقل ذال معجمة. وأما معناها اللغوي، فالأشهر أنها كلمة غير عربية، مركبة من لفظتين (باغ) و (داد) باغ بالفارسية معناها (بستان)، و (داد) بالفارسية (اسم رجل). قال بعض الأعاجم: تفسيره بستان رجل، فباغ بستان و داد اسم رجل... و سميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادي السلام". فهاهو ياقوت الحموي يضيف اسماً آخر لبغداد هو مدينة السلام¹⁴⁹.

موقعها:

تقع مدينة بغداد شمال العراق على ضفتي نهر دجلة و الفرات، تبعد بحوالي 85 كلم عن مدينة بابل الأثرية، يحدها شمالاً مدينتا أربيل و الموصل و من الجنوب مدينة البصرة.

تأسيسها:

كان أول من أسسها هو أبو جعفر المنصور وأخوه العباس السفاح بين سنتي 145 و 149 هجرية، ونقل ياقوت الحموي عن سبب تأسيسها أنّ جنود أبي العباس السفاح قد أفسدهم أهل الكوفة... " في بدء عمارة بغداد كان أول من مصّرها و جعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثاني الخلفاء...و هي مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح و شرع في عمارتها سنة 145 و نزلها سنة 149 و كان سبب عمارتها أن أهل الكوفة كانوا يفسدون جنوده."150

النحو في مدينة بغداد:

يذكر أبو الطيب اللغوي في كتابه: (مراتب النحويين) أن النحو انتقل إلى بغداد من البصرة والكوفة وغلب على بغداد النحو الكوفي، بل ويذكر فسادا و خلطا كانا قد أصابا

¹⁴⁹ - ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 456/1.

¹⁵⁰ - ينظر: المصدر السابق، 457/1.

النحو في بغداد فضلاً على أن يعترف بنحو بغداد أو المذهب البغدادي. يقول: "فلم يزل أهل المصريين على هذا حتى انتقل العلم إلى بغداد قريباً، وغلب أهل الكوفة على بغداد... وتباهوا بالترخيصات وتركوا الأصول واعتمدوا على الفروع فاختلف العلم"

ويرى شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية "أن نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري اتبعوا نهجا جديداً في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعاً، وكان من أهم ما هياً لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيها ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابها والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة"¹⁵¹. وهذا يعني أن مدرستي البصرة والكوفة المتنافستين في بغداد، قد تقاربنا واندمجتا في نهاية القرن الثالث الهجري في مدرسة بغداد التي على نحاتها حسب رأيه - بانتخاب مزايا كل من المدرستين السالفتين، وأن هذا المذهب قد تدرج في أطوار متعاقبة حتى أوفى على غايته.

ورأى مهدي المخزومي أن المدرسة البغدادية نشأت في الوقت الذي كان الصراع فيه قائماً بين المبرد وثعلب وأن طبقة من الدارسين أخذت عن شيوخ المدرستين فعرفوا المنهجين، واستفادوا من الفئتين. ثم قرر أن المذهب البغدادي ليس إلا مذهباً انتخابياً فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعاً..¹⁵²

أما سعيد الأفغاني فقد يبين كيف نشأت المدرسة البغدادية فقال: "وكانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية هي السوق التي كان يروج فيها العلم والأدب فكان يرتحل إليها العلماء من الأقطار كافة ... فالتقت لكل علم وفن ألوان وطوابع مختلفات احتكت وتمازجت وكان منها ألوان جديدة مطبوعة بالسمة البغدادية العامة وذلك ما كان في النحو . فقد نشر الكوفيون فيها نحوهم وقصدها نحاة بصريون أيضاً ونشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبين وكونت ما عُرف بالمذهب البغدادي..¹⁵³ وكان من أفراد هذه المدرسة سليمان الحامض وابن السراج وابن الخياط وأبا عبد الله الكرمانلي. كما ذكر الكلام نفسه في كتابه "في أصول النحو"¹⁵⁴.

¹⁵¹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية،

¹⁵² - ينظر: مهدي المخزومي، ص 70.

¹⁵³ - سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، ص 93.

¹⁵⁴ - ينظر: سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص 230.

منهج المدرسة البغدادية في دراسة النحو:

1- منهج البغداديين في السماع:

فشا اللحن في حاضرة بغداد فشوا كثيراً بسبب اندماج العناصر الأعجمية في المجتمع العربي إذ استوطن الأعاجم من الأتراك والديلم عاصمة الخلافة العباسية، وكان منهم النساء الجواري والمغنيات فشاع اللحن بين الناس. ولم يقتصر الأمر على حاضرة بغداد فحسب بل تعداها إلى البوادي ففسدت الألسن. فكان أمام نحاة بغداد هجنة من اللغات على قدر غير مقبول من الفصاحة والسلامة اللغوية فخارت همم أولئك النحاة في صون العربية، ولم يتشددوا في قبول تلك اللغات على علاتها واحتجوا بها جميعاً، وممن يستدل بهم في هذا الشأن الزجاجي الذي كان يقبل لهجات العرب كلها، ولا يقبل أن توصف أية واحدة منها بالشذوذ خلافاً لما كان عليه البصريون.

لقد اعتمد منهج البغداديين في السماع على التحرر من القيود الجغرافية التي وضعها البصريون، وزادوا توسعاً على ما انفتح عليه الكوفيون، فقبلوا بكل لغة عربية وإن كانت فيها هجنة، وهذا ما أقر به ابن جني في كتابه الخصائص، حيث يرى أن لغات العرب على اختلافها كلها حجة.

فلم يكن البغداديون يميزون بين لغة وأخرى أو يفضلون ما ورد عن قبيلة على ما ورد عن قبيلة أخرى، فاللغات عندهم كما هي عند الكوفيين كلها يحتج بها، ولا يجوز أن ترد لغة من أجل أن تقبل أخرى. ولذلك فإن الزجاجي وهو بغدادى كان يجيز لغات العرب مهما تنوعت ويحترمها ولا يقبل أن يصفها بالشذوذ وإن خالفت قياس البصريين¹⁵⁵.

يقول ابن جني الذي يمثل المذهب البغدادى: "اللغات على اختلافها كلها حجة: ألا ترى أن لغة الحجاز في إعمال ما، ولغة تميم في تركه، كل منهما يقبله القياس؛ فليس له أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما، لأنها ليست أحق بذلك من الأخرى، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها، وأشد نسباً بها، وأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا..¹⁵⁶ وقد كان يأخذ عن الأعراب من بني عقيل الذين توطنوا في العراق وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل، وهو مخالف في هذا

¹⁵⁵ - ينظر: الزجاجي، أبو القاسم: الجمل، ص 70-71.

¹⁵⁶ - ينظر: ابن جني: الخصائص، 12/2.

البصريين وموافق للكوفيين، ولكنه لم يكن يأخذ إلا عن الفصحاء منهم الذين سلمت سليقتهم، ولم يتعرضوا للحن أو لسقطات لسانية، وكان دائماً يسأل هؤلاء الفصحاء ويقف مبهوراً أمام فصاحتهم مقتنعاً بما يقولونه ومحتجاً به. وقد روى ذلك في قوله: "حضرني قديماً بالموصل أعرابي عقيلي جوئي تميمي يقال له محمد بن العساف الشجري، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه، فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته، والتذاذاً بمطاولته وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زند فطنته: كيف تقول: "أكرم أخوك أباك؟"، فقال: كذاك. فقلت له: أفتقول: "أكرم أخوك أبوك؟"، فقال: لا أقول، أبوك، أبداً. فقلت: "كيف تقول أكرمني أبوك؟"، فقال: كذاك. قلت: ألسنت تزعم أنك لا تقول: "أبوك، أبداً؟" فقال: "إيش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام". فهل قوله: "اختلفت جهتا الكلام"، إلا كقولنا نحن: هو الآن فاعل وكان في الأول مفعولاً. فانظر إلى قيام هذا الأمر في أنفسهم ولم تقطع به عبارتهم ..¹⁵⁷، كما نجد البغداديين قد مدّوا زمن الاحتجاج واستشهدوا بأشعار المولدين ومنهم: بشار بن برد وأبو نواس.

ويرى نحاة بغداد أن القرآن محكم لا يتكلم العرب بشيء أجود منه، وفي هذا يقول الزجاج: "القرآن الكريم محكم لا لحن فيه بشيء يتكلم العرب بأجود منه في الإعراب كما قال عز وجل: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: 42)، وقال: جلّ وعلا: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾. (الشعراء: 195)"¹⁵⁸. ويستشهدون بالقراءات الشاذة فضلاً عن القرآنية المتواترة،

مخالفيين في ذلك البصريين الذين يرفضونها وموافقين للكوفيين الذين يقبلونها، وكان ابن جني يرى أن الشاذ قد يكون مساوياً في الفصاحة للمجمع عليه، ومدعوماً بالرواية التي تثبت صحته ورسوخه، فلا يجب على هذا الأساس رده أو الغض منه قال: "إلا أنه مع خروجه عنها - أي: عن القراءات السبع - نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه، وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنف بغيره فصاحته وتمطّوه قوى أسبابه وترسو به قدم إعرابه ... ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم، أو تسويفاً للعدول عمّا أقرته

¹⁵⁷ - ينظر: محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان- دار عمار، عمان، ط1/1986م،

ص 128- 129.

¹⁵⁸ - الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط1/ 1408هـ-

1988م، 131/2.

الثقات عنهم، لكن غرضنا منه أن تُري وجه قوة ما يُسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يرى مرأى أن العدول عنه إنّما هو غرضٌ منه أو تهمة له¹⁵⁹.

فالقراءات الشاذة حجة عند البغداديين يحتج بها في إثبات القواعد النحوية لصحة سندها وأنها مروية عن الثقات وإن خالفت رسم المصحف.

2 - منهج البغداديين في القياس:

وقف البغداديون موقفاً وسطاً في القياس بين البصريين والكوفيين، تبعاً للأخفش الأوسط مؤسس مدرستهم إذ قاسوا على الشاذ وقبلوه بشرط عرضه للمناقشة على الدارسين الأعلام فإذا أجازوه هؤلاء الأعلام في خضم مناقشاتهم أجازوه وإن رفضه الأعلام رفضوه. وقد وضع ابن جني مبدأ المدرسة البغدادية في هذا النوع من الأمثلة وقسمه إلى أقسام ومراتب قال: المسموع الفرد هل يقبل ويحتج به؟ له أحوال:

1- أن يكون فرداً بمعنى أنه لا نظير له مع إجماع العرب على النطق به: فهذا يقبل ويحتج به، ويقاس عليه إجماعاً كما قيس على قولهم في شئونة: شئوني. مع أنه لم يسمع غيره، لأنه لم يسمع ما يخالفه، وقد أطبقوا على النطق به.

2- أن يكون فرداً واحداً مخالفاً ما عليه الجمهور: فإن كان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به، وكان ما أورده مما يقبله القياس إلا أنه لم يرد به استعمال، إلا من جهة ذلك الإنسان فإن الأولى به في ذلك أن يحسن الظن به ولا يحمل على فساد. لأنه قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة طال عهدها وعفا رسمها، ما دام القياس يعضده، فإن لم يعضده، كرفع المفعول، والمضاف إليه، وجر الفاعل، أو نصبه فينبغي أن يرد، وذلك لأنه جاء مخالفاً للقياس والسماع جميعاً. وإن كان الرجل الذي سمعت منه تلك اللغة المخالفة للغات الجماعة مضعوفاً في قوله، مألوفاً منه اللحن، وفساد الكلام، فإنه يرد عليه ولا يقبل منه.

3- أن ينفرد به المتكلم ولا يسمع من غيره لا ما يوافقه ولا ما يخالفه: وهذا يجب قبوله إذا ثبتت فصاحته، لأنه إما أن يكون شيئاً أخذه عن نطق به بلغة قديمة لم يشارك في

¹⁵⁹ - ابن جني: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، ار الكتب العلمية - بيروت، ط1/ 1419هـ - 1998م، 103/1.

سماع ذلك منه، على حدّ ما قلناه فيمن خالف الجماعة وهو فصيح أو شيئاً ارتجله، فإنّ الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبق إليه، فقد حكى عن رؤية وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها¹⁶⁰.

نستخلص مما سبق إirاده أن المدرسة البغدادية سلكت طريقاً وسطاً بين المدرستين البصرية والكوفية في طريقة القياس، تعتد بالكلام المفرد أو النادر ما لم يخالف قياساً اشتهر العمل به، وقبول المفرد الذي ثبتت فصاحته، ولم يوجد من غيره ما لا يوافقه أو يخالفه. أمّا من عُرِف عنه أنه يلحن، أو فاسد اللغة فإنه لا تقبل لغته. كما أنهم يقيسون من غير اعتماد على سماع.

3 - التعليل عند البغداديين:

المعروف عند نحاة بغداد أنهم تأثروا تأثراً كثيراً بالمنطق في تعليلاتهم وذاك ما يصرح به الدكتور المختار ولد اباه في مقام سوقه رأياً لابن جني في العلة و التي هي عنده مأخوذة من مذهب المتكلمين وقريبة من تعليلهم. يقول: " و في حديثه [يقصد ابن جني] عن العلل يقترب ابن جني من مذهب المتكلمين و قال إنّ العلل النحوية أقرب إلى عللهم و إنّ مرجعها العام هو الثقل و الخفة"، وخير مثال لاهتمام نحاة بغداد بالعلة والتعليل هو ابن جني، ففتح لها أبواباً كثيرة من ذلك: "باب في تخصيص العلل"¹⁶¹، و"باب في تعارض العلل"¹⁶²، و"باب: "في أنّ العلة إذا لم تتعد لم تصح"¹⁶³، و"باب: "في إدراج العلة واختصارها"¹⁶⁴، و"باب في دور الاعتلال"، كما فتح باباً "ردّ فيه على من أفسد علل النحويين، واتهمه بالضعف في نفسه وبالهوس واللغو"¹⁶⁵.

وقد قسم ابن جني العلل إلى قسمين: على أساس حاجة الطبع لها، وعدم هذه الحاجة، علل موجبة وعلل مجوزة، وقد أنكر تقسيم ابن السراج وتلميذه الزجاجي لها، إلى علل: أولى وثوان وثالث، ذاهباً إلى أن العلل الأخيرة تنتمي للعلل الأولى، وليس هناك للعلة، ولا علة لعلة العلة. قال في باب العلة وعلة العلة: "ذكر أبو بكر في أول أصوله هذا، ومثّل منه برفع الفاعل. قال: فإذا سئلنا عن علة رفعه قلنا: ارتفع بفعله، فإذا قيل: ولم صار الفاعل

¹⁶⁰ - ينظر: محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، 133-134.

¹⁶¹ - ابن جني: الخصائص، 144/1-164.

¹⁶² - المصدر السابق، 166/1-169.

¹⁶³ - المصدر السابق، 169/1-173.

¹⁶⁴ - المصدر السابق، 181/1-183.

¹⁶⁵ - المصدر السابق، 183/1-184.

مرفوعاً ؟ فهذا سؤال عن علة العلة، وهذا موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه علة العلة إنما هو تجوز في اللفظ، فأما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة¹⁶⁶. فهو لا يعترف إذن إلا بعلة واحدة لا علة لها. قال: "ومن بعد فاعلة الحقيقة عند أهل النظر لا تكون معلولة، ألا ترى أن السواد الذي هو علة لتسويد ما يحله، إنما صار كذلك لنفسه، لا لأن جاعلاً جعله على هذه القضية"¹⁶⁷.

من أعلام المدرسة البغدادية ونزعتهم:

لقد كانت المدرسة البغدادية بأعلامها ومنهجها وسطا بين المدرستين البصرة والكوفة، فأدى ذلك إلى انقسام نحاتها إلى ثلاثة أقسام:

- أ- نحاة اتسم منهجهم بالنزعة البصرية.
- ب- نحاة اتسم منهجهم بالنزعة الكوفية.
- ج- نحاة اتسم منهجهم بالمزج بين النزعتين البصرية و الكوفية.
- د- بغداديون متأخرون.

أولاً: البغداديون الذين على المنهج البصري:

1 - الزجاج:

أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ، غلب عليه لقب (الزجاج) لأنه كان يشتغل بصناعة الزجاج، ولد وتعلم و نشأ ببغداد، من شيوخه: ثعلب الكوفي و المبرد البصري، ولما طلب عبيد الله بن سليمان مؤدبا لولده القاسم اقترح عليه المبرد الزجاج فقبله عبيد الله وجعله مؤدبا لولده القاسم، و أثر عن الزجاج أنه كان متعصبا للبصريين ولسيبويه وكتابه، كما أنه عارض ثعلبا لما تحامل على سيبويه و كتابه. توفي ببغداد سنة 310هـ و قيل 316هـ. وله مصنفات مختلفة منها :كتاب شرح أبيات سيبويه ومختصر في النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب معاني القرآن وكتاب القوافي وكتاب في العروض¹⁶⁸.

2 - ابن السراج:

¹⁶⁶ - ابن جني الخصائص، 173/1.

¹⁶⁷ - المصدر السابق، 174/1.

¹⁶⁸ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 135-136.

هو أبو بكر محمد بن السري، كان من أحدث تلاميذ المبرد سنا مع ذكائه وحدة ذهنه، وعكف على دروس أستاذه، متزودا بكل ما عنده من أزواد نحوية ولغوية. وعُني بجانب ذلك بدراسة المنطق والموسيقى، وتحول بعد موت المبرد إلى حلقات الزجاج يعبّ منها وينهل، ثم استقل عنه بحلقة كان يؤمّها كثيرون في مقدمتهم السيرافي، وأبو علي الفارسي وعليه قرأ كتاب سيبويه. وكان يُعنى عناية واسعة بعلم النحو ومقاييسه، وفيهما صنّف كتاب الأصول الكبير، انتزعه من كتاب سيبويه وأضاف إليه إضافات بارعة، ويقال: إنه جعله تقاسيم على طريقة المناطق. ولم يكتف فيه بآراء سيبويه، فقد ضم إليه كثيرا من آراء الأخفش الأوسط والكوفيين موازنا ومقارنا.

توفي سنة 316 هـ و من تصانيفه: كتاب الأصول في النحو، كتاب الجمل، و شرح كتاب سيبويه وكتاب الاشتقاق وشرح سيبويه وكتاب احتجاج الفراء.¹⁶⁹

3 - الزجاجي:

هو أبو القاسم بن عبد الرحمن بن اسحاق، ولد بمدينة تسمى نهاوند ببلاد فارس، وتعلم ببغداد ومن شيوخه إبراهيم بن السريّ الزجاج فلقب بالزجاجي نسبة لشيخه، ومن شيوخه أيضا: ابن كيسان، وابن السراج... كان ولوعا بالعلم يطلبه في مظانه فارتحل إلى الشام و استقر زمنا بدمشق ثم بحلب و طبرية، توفي على أرجح الأقوال سنة 337 هـ، و له كثير من التصانيف غير أنها ضاعت في معظمها و منها: كتاب الجمل، الأمالي، كتاب الإيضاح في علل النحو، كتاب اللامات، مختصر الزاهر.¹⁷⁰

4 - المبرمان:

أبو بكر بن محمد بن علي العسكري، من شيوخه المبرد و الزجاج، نبغ في النحو حتى ذاع صيته في الأقطار، و لكن يقال أنه كان ضنينا بما عنده إلا بمقابل، توفي سنة 345 هـ من مؤلفاته: شرح شواهد سيبويه، شرح كتاب الأخفش.¹⁷¹

5 - ابن درستويه:

¹⁶⁹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 140-141.

¹⁷⁰ - السيوطي: بغية الوعاة، 392/2.

¹⁷¹ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، 114.

أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه، المرزبان، من بلاد فارس، ارتحل به والده إلى بغداد فسمع عن المبرد، و ثعلب و ابن قتيبة، وصف بأنه شديد التعصب لمذهب البصريين توفي سنة 347 هـ و له من المؤلفات: الإرشاد في النحو، شرح كتاب الجرمي، غريب الحديث، شرح الفصيح لثعلب، المقصور و الممدود¹⁷².

6 - أبو علي الفارسي:

هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان، ولد بفارس، و ارتحل إلى بغداد و أخذ عن علمائها و منهم: المبرد، و ابن السراج، و الزجاجي فنبغ في النحو حتى قيل عنه أنه فاق المبرد فيه، توفي سنة 377 هـ من مؤلفاته: التذكرة، والإيضاح، و الحجة في القراءات، و كتب في مسائل: البغداديات، الشيرازيات، العسكرية¹⁷³.

7 - ابن جني:

هو عثمان بن جني، كنيته أبو الفتح، رومي الأصل أزدي الولاء، و جني اسم غير عربي و تعريبه كني و معناه فاضل، كريم...ولد بالموصل وبها نشأ و تعلم، من شيوخه: الأخفش وهو غير الأخافشة المعروفين لأن اسمه أحمد بن محمد الموصلي الشافعي، كما أخذ عن أبي علي الفارسي، كان إماما في النحو و الصرف غزير التأليف فيهما، شاعرا و راوية...توفي سنة 392 هـ من مؤلفاته: الخصائص، اللمع في العربية، سر صناعة الإعراب، المحتسب، التصريف الملوكي، علل التنثية...¹⁷⁴.

ثانيا: البغداديون الذين على المنهج الكوفي:

1 - أبو موسى الحامض:

سليمان بن محمد بن أحمد، غلب عليه لقب الحامض وقد برروه بحدة مزاجه وتهوره، مكث طويلا يأخذ العلم عن ثعلب، إذ صحبه أربعين سنة، كان ذا فطنة وحافظة، أخذ عن البصريين والكوفيين، وكان شديد التعصب للكوفيين، وكان رأس البغداديين الكوفيين¹⁷⁵.

¹⁷² - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 116.

¹⁷³ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 255.

¹⁷⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص 265 فما بعدها.

¹⁷⁵ - ينظر: محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية، ص 167.

توفي سنة 305 هـ، من كتبه: مختصر في النحو، كتاب خلق الإنسان، وكتاب الوحوش، كتاب النبات¹⁷⁶.

2 - أبو الحسن ابن كيسان:

أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، ولد ببغداد وبها نشأ وتعلم ولم يغادرها حتى لقّب بالبغدادي، سمع عن المبرد البصري، وعن ثعلب الكوفي، عدّه العلماء من أنصار المذهب الكوفي، يقول الزجاجي وهو من تلاميذ بن كيسان: "من علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم: أبو الحسن بن كيسان وأبو بكر بن شقير وأبو بكر بن الخياط؛ لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين، وكان أول اعتمادهم عليه، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين"¹⁷⁷. ويصرح الزجاجي في موضع آخر بأن هؤلاء الأعلام ومعهم ابن الأنباري الكوفي الخالص، هم الذين ينقل عنهم احتجاجات الكوفيين لآرائهم، فهم الذين ضبطوا هذه الاحتجاجات ووثقوها وأحكموها، يقول في كتابه الإيضاح بعد أن أورد جملة وجوه الاحتجاج لآراء الكوفيين التي سردها في الكتاب سرداً: " وإنما نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعنا مما يحتج به عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرين وعلى حسب ما في كتبهم". من تلاميذه أبو جعفر النحاس، توفي على أرجح الأقوال سنة 299 هـ ولديه تصانيف كثيرة منها: شرح السبع الطوال، علل النحو، غريب الحديث، الكافي في النحو، شرح معلة امرئ القيس¹⁷⁸.

3 - أبو بكر بن شقير :

أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرّج بن شقير النحوي، فإنه كان عالماً بالنحو، وكان بغدادياً يخطط المذهبين، كما نصّ على ذلك الزجاجي في كتابه الإيضاح، أخذ عن أحمد بن

¹⁷⁶ - ينظر: الأنباري، أبو البركات، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي

مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط1/ 1405 هـ - 1985 م، ص181.

¹⁷⁷ - الزجاجي أبو القاسم: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس- بيروت، ط5/ 1406 هـ - 1986، ص79.

¹⁷⁸ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص246- 247.

عبيد بن ناصح، وأخذ عنه ابن شاذان . توفي سنة 315هـ، والأرجح 317هـ¹⁷⁹. وله من الكتب: كتاب مختصر في النحو، وكتاب في المقصور والممدود، وكتاب في المذكر والمؤنث.

4- أبو بكر بن الخياط:

أبو بكر محمد بن أحمد، أصله من سمرقند ووفد على بغداد، وسمع عن الزجاج وكانت بينهما مناظرة، تتلمذ على أبي العباس المبرد ، وأبي العباس ثعلب، ويعتبر من البغداديين الذين يميّون إلى المذهب الكوفي، من تلاميذه: أبو القاسم الزجاجي، وأبو علي الفارسي، كان وقورا جميل الأخلاق طيب العشرة محبوب الخلقة ، توفي بالبصرة سنة 320هـ من تصانيفه: معاني القرآن، النحو الكبير، الموجز في النحو، المقنع في النحو¹⁸⁰.

ثالثا: البغداديون الذين انتخبوا من المذهبين البصري والكوفي:

1 - ابن قتيبة:

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد بالكوفة، ولقب بالدينوري نسبة لمدينة (دينور) بفارس والتي ولي القضاء بها، عاش زمنا ببغداد وتتلمذ على أيدي الزيايدي والرياشي وابن راهويه وغيرهم، قال عنه أبو الطيب اللغوي في (مراتب النحويين): "...إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات، وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابته في (تعبير الرؤيا). وكتابته في (معجزات النبي صلى عليه وسلم وعلى آله)، و (عيون الأخبار)، و(المعارف)، و (الشعراء)، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء"¹⁸¹. وتصف خديجة الحديثي في تعقيبها على قول أبي الطيب اللغوي بأنه تحامل منه ضد ابن قتيبة مرده إلى أن ابن قتيبة بصري أخذ بعضا من آراء الكوفيين و ذلك ما لا يجيزه النحاة الأوائل من البصريين، إذ يرى البصريون أنه لا يجوز أن يأخذ بصري عن كوفيين . توفي سنة 287 هـ من مؤلفاته: أدب الكاتب، الجامع الكبير في النحو، و الجامع الصغير¹⁸².

¹⁷⁹ - الأتباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 187-188. وينظر: محمود حسني: المدرسة البغدادية، ص 169-170.

¹⁸⁰ - ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2309/5

¹⁸¹ - اللغوي، أبو الطيب عبد الواحد بن علي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط)،

ص 85

¹⁸² - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 223.

3 - الأخفش الصغير:

هو أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل البغدادي، ولد ببغداد، و قرأ على ثعلب و المبرد فنبغ في النحو العربية، و سافر إلى مصر ثم إلى حلب و مكث بهما حيناً من الزمن، عاد إلى بغداد و بها توفي فجأة سنة 315 هـ و قيل 316¹⁸³. و قال عنه الذهبي: "لازم ثعلبا و المبرد وبرع في العربية، و ما أظنه صنف شيئاً"¹⁸⁴. و في هذا نفي من قبل الذهبي التأليف عن الأخفش الأصغر غير أن خديجة الحديثي تذكر له مؤلفات منها: كتاب الأنواء، التنثية و الجمع، تفسير رسالة سيبويه..¹⁸⁵

5 - نفطويه:

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، العتكي الأزدي الواسطي الملقب بـ: نفطويه من شيوخه: ثعلب و المبرد، أثر عنه أنه ظاهرة في الحفظ إذ يحفظ شعر النقائض، و شعر ذي الرمة، و كان يخلط بين نحو المدرستين، كان متديناً حسن الخلق ذا مروءة، توفي سنة 323 هـ من آثاره غريب القرآن، البارع، تاريخ الخلفاء..¹⁸⁶

رابعا: بغداديون متأخرون: ومنهم:

1- أبو البركات الأنباري:

هو كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، وهو أحد ثلاثة نسبوا إلى الأنبار، أولهم: أبو البركات الأنباري صاحب هذه الترجمة ، وثانيهم: أبو محمد القاسم ابن محمد بن بشار الأنباري صاحب كتاب "خلق الانسان" و "خلق الفرس" و "غريب الحديث"، وثالثهم: ابنه محمد المعروف بأبي بكر الأنباري صاحب كتاب "الأضداد"، وشارح "المفضليات" و "السبع الطوال". قدم بغداد في صباه وقرأ الفقه على سعيد بن الرزاز ، وصار معيداً في المدرسة النظامية، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولازم ابن الشجري حتى برع، فهو يتصل إذن في النسب النحوي بأبي علي الفارسي، عن طريق ابن الشجري، ويظهر أنه كان يعكف على مصنفاته ويدرسها لتلاميذه في المدرسة النظامية. وقد وقف مع البصريين في جمهور المسائل الخلافية التي أحصاها في كتابه الإنصاف، ورجح مذهب الكوفيين في سبع مسائل، هي: العاشرة ، والثامنة عشرة ، والسادسة

¹⁸³ - ينظر: خديجة الحديثي، ص224.

¹⁸⁴ - الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، 481/14.

¹⁸⁵ - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص224.

¹⁸⁶ - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص225.

والعشرون، والسبعون، والسابعة والتسعون، والواحدة بعد المائة، والسادسة بعد المائة. وبذلك يصبح بغدادياً على شاكلة أبي علي الفارسي، فهو يجري في جمهور آرائه مع البصريين، ويفتح الأبواب لاختيار بعض آراء الكوفيين .

ومن كتبه الأخرى كتاب : "الأضداد"، و"الإغراب في جدل الإعراب"، و"لمع الأدلة" في أصول النحو، و"ميزان العربية"، و"نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، وكتب أخرى ذكرها الذهبي في السير. توفي سنة 577هـ¹⁸⁷.

2- الزمخشري:

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر المشهور بالزمخشري نسبة إلى القرية التي ولد بها وهي زمخشر بخوارزم، و بها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى بخارى ثم بغداد، ومن أساتذته أبو منصور نصر الحارثي، وأبو الحسن علي ابن المظفر النيسابوري، وأبو سعد الشقاني، وأبو منصور الجواليقي الذي قرأ عليه بعض كتب اللغة . ومنهم ابن وهاس الذي قرأ عليه في مكة ومدحه بقوله : ولولا ابن وهاس وسابق فضله رعيت هشيماً واستقيت مُصَرِّداً وذكر أبو حيان أن الزمخشري قرأ كتاب سيبويه كله على أبي بكر الأندلسي قال: رحل من خوارزم في شببته إلى مكة شرفها الله تعالى لقراءة كتاب سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل جزيرة الأندلس .. وكان مجاوراً بمكة، وهو الشيخ الإمام العلامة المشاور أبو بكر عبد الله بن طلحة الأندلسي من أهل بابة من بلاد جزيرة الأندلس فقرأ عليه الزمخشري جميع كتاب سيبويه، وهذا يدل على أنه ناظر في كتاب سيبويه، بخلاف ما كان يعتقد فيه بعض أصحابنا، من أنه إنما نظر في نتف كلام أبي علي الفارسي وابن جني .. ونزل بمكة زمناً وكان معتزلي المنهج، توفي سنة 538 هـ وله تصانيف عديدة منها: تفسير الكشاف، أساس البلاغة¹⁸⁸.

وهكذا نكون قد ألمنا بأهم المحاور التي تتعلق بالمدرسة البغدادية في نشأتها ومنهجها وأهم أعلامها واتجاهاتهم، فهي تعتبر مرحلة فاصلة في تاريخ النحو العربي، إذ تتميز بالانفتاح على المذهبين البصري والكوفي، وابتكار طريقة جديدة في الجمع والانتخاب من المذهبين.

¹⁸⁷ - ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 113/21 - 114.

¹⁸⁸ - ينظر: محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية، ص 405 - 406.

المحاضرة التاسعة: الاختلاف النحوي بين مدارس النحو (المشرق)

تمهيد:

الاختلاف النحوي هو ظاهرة طبيعية في التراث اللغوي العربي نتجت عن تعدد الاجتهادات في توجيه النصوص، وتفسير الظواهر الإعرابية، وبناء القواعد . وقد أثرى هذا الاختلاف مكتبة النحو العربي بمصنفات متخصصة، مثل كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري.

تعريف الاختلاف:

الاستعمال اللغوي:

الاختلاف مصدر من الفعل اختلف، الاختلاف: افتعال مصدر اختلف، واختلف ضد اتفق، ويقال: تخالف القوم واختلفوا، إذا ذهب كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر. ويقال: تخالف الأمران، واختلفا إذا لَمْ يَتَّفَقَا وكل ما لَمْ يَتَسَاوَا: فَقَدْ تَخَالَفَا واختلف. ومنه قولهم: اختلف الناس في كَذَا، والناس خلفه أي مختلفون؛ لأن كُلَّ واحدٍ مِنْهُمْ يُنَحِّي قَوْلَ صاحبه، ويقيم نفسه مقام الَّذِي نَحَاه . ومنه حَدِيثُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وس لم - : سَوَّوْا صفوفكم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم. وبعد أن ساق الزبيدي هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ في معناه : أي: إذا تَقَدَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الصُّفُوفِ تَأَثَّرَتْ قُلُوبُهُمْ، ونشأ بينهم اختلافٌ في الأُلْفَةِ والمُودَّةِ¹⁸⁹.

أما الخِلافُ - بالكسر - فهو المُضَادَّةُ، وَقَدْ خَالَفَهُ مُخَالَفَةً وَخِلَافاً كَمَا في اللسان. والخِلافُ: الْمُخَالَفَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (التوبة: 81)، أي: مخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالخلاف والاختلاف في اللغة ضد الاتفاق، فهما بمعنى واحد، ومادتهما واحدة

¹⁸⁹ - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (أعوام النشر: 1965 إلى 2001) 275/23.

الاستعمال الاصطلاحي:

فيكون الخلاف والاختلاف في الاصطلاح هو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر [16]" أو هو: منازعة تجري بين المتعارضين، لتحقيق حق أو إبطال باطل.

وأما في اصطلاح العلوم فقد ورد في (كتاب التعريفات) للشريف الجرجاني: "الخلاف منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل"¹⁹⁰. فالخلاف يظهر في تعدد الآراء والاجتهادات بين علماء العربية في توجيه القواعد النحوية، وضبط أصولها. ونشأ هذا الخلاف نتيجة تفاوت النحاة في فهم النصوص، أو اختلافهم في الاستدلال والقياس. قال المناوي: "الاختلاف افتعال من الخلف، وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في أمر من الأمور".

وكما ترى لا يكاد التعريفان اللغوي والاصطلاحي يختلفان هنا فالأول يشير إلى أن الاختلاف مرده إلى تمذهب فريقين كل بمذهبه، و أما الاصطلاحي فبين أن الخلاف هو نزاع بين فريقين حول أمر معين لإثبات كل فريق الحق لنفسه... و الحال كذلك في النحو لأن كل مدرسة أو كل مذهب يدعي الصواب لرأيه و يدعمه بتعليلات و حجج... وبعد هذا لا بد من التنويه إلى أن مجال الاختلاف النحوي بين المدارس واسع شاسع لا تستوعبه محاضرة واحدة و لكننا سننشد الاختصار و الإشارة حتى نقف عند أهم مظاهر الخلاف بين هذه المدارس. و لعله من المفيد أن نذكر أن ذلك الاختلاف بين تلك المدارس قد تجلت مظاهره في أربعة مجالات و هي:

(أ) - **الاختلاف في التعريفات:** وهو الاختلاف في تعريف الموضوع لا في الموضوع نفسه.

(ب) - **الاختلاف في المصطلح:** وهو الاختلاف في التسمية العلمية للمفاهيم النحوية.

¹⁹⁰ - الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1/ 1403هـ- 1983م، ص101

(ج) - الاختلاف في المنهج: وهو الاختلاف والتباين في طرائق تناول الدرس النحوي في دراسة المواضيع النحوية.

(د) - الاختلاف في التوجيه والتأويل النحويين: للقراءات القرآنية وأشعار العرب.

2- مظاهر الاختلاف النحوي: تتجلى مظاهر الاختلاف النحوي بين نحاة المدارس النحوية فيما يلي:

أ- الاختلاف في التعريف: و منه:

- الاختلاف في تحديد معنى الاسم:

يرى البصريون أن الاسم مشتق من (السموّ) أي الارتفاع، و يرى الكوفيون أنه مشتق من (الوسم) و معناه العلامة، قال أبو البركات الأنباري: " ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة و ذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمّو و هو العلو" ¹⁹¹.

فلما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة، والاسم وسمّ على المسمّى، فصار كالوسم عليه .. قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الاسم سمة تُوضع على الشيء يعرف بها. والأصل في اسم وسمّ، إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في وسمّ، وزيدت الهمزة في أوله عوضاً عن المحذوف . وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من السُمُوّ لأن السُمُوّ في اللغة هو العلو، يقال: سما يَسْمُو سُمُوًّا، إذا علا، ومنه سمّيت السماء سماء لعلوها، والاسم يعلو على المسمّى، ويدل على ما تحته من المعنى، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد: الاسم ما دلّ على مسمّى تحته، وهذا القول كافٍ في الاشتقاق، لا في التّحديد، فلما سما الاسم على مُسمّاه وعلا على ما تحته من معناه دلّ على أنه مشتق من السُمُوّ، لا من الوسم ¹⁹². فالبصريون والكوفيون يتفقون في مصطلح (الاسم) ويختلفون في تعريفه وأصل اشتقاقه.

¹⁹¹ - الأنباري، أبو البركات : الإنصافي في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، 08/1

¹⁹² - ينظر: المصدر السابق: 08/1.

- الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم:

يرى الكوفيون أن الفعل هو أصل الاشتقاق وحجتهم أننا نبدأ بالفعل فنقول: ضرب ضرباً و انطلق انطلاقاً... و أما البصريون فيرون أن المصدر أصل الاشتقاق، و من حججهم أن المصدر يحمل معنى الصدارة أي التقدم. قال الأنباري: " ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، نحو " ضرب ضرباً، وقام قياماً " وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه ¹⁹³. ثم يسرد الأنباري احتجاج كل من الكوفيين والبصريين في قوله: " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا :إنما قلنا إنّ المصدر مشتق من الفعل؛ لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتّل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول " قَاوَمَ قَوَامًا " فيصح المصدر؛ لصحة الفعل، وتقول " قَامَ قِيَامًا " فيعتّل؛ لاعتلاله؛ فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه .. وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا :الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيّد، فكذلك المصدر أصل للفعل.

وبيان ذلك أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وجدوه يشترك في الأزمنة كلها، لا اختصاص له بزمان دون زمان، فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعيين الأزمنة، ولهذا كانت الأفعال ثلاثة :ماضي، وحاضر، ومستقبل؛ لأن الأزمنة ثلاثة؛ ليختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة؛ فدلّ على أن المصدر أصل للفعل ¹⁹⁴. من خلال هذه النصوص نستنتج أن البصريين والكوفيين اتفقوا في مصطلح الاسم، واختلفوا أصل الاشتقاق.

ثانياً: الاختلاف في المصطلح:

يعتبر الاختلاف في المصطلح من أهم المظاهر التي تدل تمايز والتباين بين المدرستين البصرية والكوفية من ذلك:

¹⁹³ - الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، 190/1.

¹⁹⁴ - ينظر: المصدر السابق: 191/1.

المصطلح البصري	ما يقابله في المصطلح الكوفي
الحشو	الصلة
ضمير الفصل	العماد
الإثبات	الإقرار
التوكيد	التشديد
لا النافية للجنس	لا التبرئة
الجامد	الاسم الثابت
ضمير الشأن	المجهول
اسم الفاعل	الفعل الدام
ينصرف و لا ينصرف	يجري و لا يجري
المضارع	المستقبل
النداء	الدعاء

ثالثا: الاختلاف في المنهج:

1- السماع أو النقل:

لقد تطرقنا في المحاضرات السابقة اختلاف المدرستين في المنهج ومن ذلك اختلافهما في السماع أي (النقل). فلبصريون يتشددون في جمع اللغة التي يتخذونها شواهد لقواعدهم النحوية ولذلك توغلوا في البادية وسمعوا عن العرب الخلف ووقفوا موقفا حازما من اللغة الشاذة وتعاملوا معها تحت قاعدة: "الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه" بمعنى أنهم لا يرفضون الشاذ رفضا مطلقا و لكنهم لا يتخذونه مرجعا لبناء آرائهم النحوية. وفي المقابل نجد الكوفيين قد نقلوا عن أهل الحضر وأهل البادية كما سمعوا عن القبائل التي كانت على تخوم الأعاجم. ومن الأمثلة الدالة على اتساع الكوفيين في السماع بما يعرف بـ: (المسألة

الزنبورية) و التي جرت بين سيبويه البصري والكسائي الكوفي... و سيبويه لا يقبل غير ضمير الرفع المنفصل في المقولة: "كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعا من الزنبور فإذا هو هي". ويرفض بالمطلق ضمير النصب المنفصل: (فإذا هو إياها). والسماع يؤيد رأيه وفي طليعة السماع القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتُوبَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 97).

وَأما الكسائي فيقبل ضمير النصب المنفصل: (فإذا هو إياها). وحجته لغة أعراب الحطمة الذين يصفهم شوقي ضيف بأنهم ليسوا فصحاء ولا سكان بادية في قوله: " لأنهم - يقصد أعراب الحطمة - ليسوا من الفصحاء المتبذّين في قيعان نجد وتهامة والحجاز ممن يؤخذ عن لسانهم النحو واللغة"¹⁹⁵

ومن الأمثلة كذلك على الخلاف بين البصريين والكوفيين مسألة الفصل بين المضاف و المضاف إليه:

يذكر أبو البركات الأنباري أن الكوفيين يجيزون الفصل بين المتضايفين، ويذكر احتجاجهم على ذلك بيتا من قول الراجز:

فزرزجتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزاده

فالمضاف في البيت هو: زجّ

و المضاف إليه: أبي مزادة

و المفعول به: القلوص.

و تقدير الكلام: زجّ أبي مزادة القلوص.

وأما البصريون فلا يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وقد وصف صاحب الإنصاف قياس الكوفيين على هذا البيت بأنه قليل و أنه مجهول القائل، ومن هناك لا يحتجّ

¹⁹⁵ - ينظر: شوقي صيف: المدارس النحوية، ص 58- 59.

به، يقول: "و أما الجواب عن كلمات الكوفيين أن ما أنشدوه فهو مع قلته لا يعرف قائله ولا يجوز الاستشهاد به"¹⁹⁶.

كما نجد اختلاف البصريين والكوفيين في القراءات القرآنية كثير جدا، من ذلك: قبول الفراء الكوفي ثلاثة أوجه إعرابية في إعراب لفظة (غير) في قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ يَتَقَوْمِ

أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: 59)

غير (بالرفع): نعتا للفظ (إله) باعتبار المحل الإعرابي الذي هو الرفع لأن (من) حرف جر زائد نحويا.

غير (بالجر) نعتا للفظ (إله) المجرورة لفظا
غير (بالنصب) بمعنى إلّا.

لكنّ البصريين يرفضون توجيه النصب إذا لم يتم الكلام، و هنا لم يتم الكلام لأنّ بعد (غير) ضميرا متصلا مضافا إليه. وفي ذلك يقول صالح أمين آغا في كتابه: (التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء): " وقد أجاز الكسائي نصب غير كما أجاز الكوفيون في كل موضع يحسن فيه (إلا) تمّ الكلام أو لم يتم، و أجاز ما جاءني غيرك [بالنصب]... و عند البصريين لا تكون (غير) منصوبة إذا لم يتم الكلام... خلافا للكوفيين فإنهم ينصبونها تم الكلام أو لم يتم، و الرفع على اتباع الموضع و الجر للفظ"¹⁹⁷.

2- القياس:

ونجد الأمر نفسه فيما ي تعلق الأمر بالقياس، فإنّ البصريين لا يقيسون إلّا على المطرد الكثير الاستعمال من كلام العرب ونجدهم يتحرّجون كثيرا من القياس على الشاذ بله على غير المسموع. في حين كان الكوفيون يقيسون على الشاذ وعلى البيت الواحد بل و يقيسون على غير المسموع من اللغة أصلا، بل المجهول القائل.

¹⁹⁶ - ينظر: الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، 349/2- 250.

¹⁹⁷ - آغا صالح أمين: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء، ص 25.

3- التعليل:

وقد رأينا كذلك اختلافهم في التعليل. فاللّٰبصريين في تعليلاتهم يصدرّون من اللّٰغة ذاتها ويحتجون لآرائهم بما فهموه من دقة الواضع العربي وعبقريته، من ذلك تعليل المبرّد البصري لورود لفظة (منفطر) بالتذكير خبراً للفظه (السماء) المؤنثة و ذلك في قول الله تعالى: ﴿ اَلْسَّمَآءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ ﴾. (المزمل: 18) يعلل ذلك برأي الخليل بن أحمد الذي يرى أن (منفطر) ليست لفعل الانفطار، إنما هي وصف للحال التي تكون عليها يوم القيامة، ولو كانت للفعل لوافقت الاسم و قيل: السماء منفطرة. يقول المبرّد: " وقال الخليل في قول الله تعالى: ﴿ اَلْسَّمَآءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ ﴾ (المزمل: 18) قال: هو كقولك للدجاجة (معضل) المعضل التي نشبت بيضتها في جوفها. ولو كانت للفعل لم يكن إلا منفطرة"

وأما تعليل الكوفيين فكثيراً ما كانوا يقحمون ما لا علاقة له باللغة من فلسفة و منطق و غيرهما. ويوصف بالضعف والاضطراب والخروج عن حقيقة اللغة والجنوح إلى المنطق، ومنه ما يراه الفراء في النّون الساكنة التي تليها الباء، فهي عنده نون خفية، وفي ذلك خطأ لأنها ميم في مثل: قنبر وعنبر... و نجد أبا سعيد السيرافي يردّ رأي الفراء في المسألة الخامسة من كتابه: "ما ذكره الكوفيون في الإدغام"، ويقول صبحي التميمي: "تمثل رأي الفراء أن النون الساكنة التي تليها الباء كالعنبر هو نون مخفأة و ردّه السيرافي مبيناً أنّ الصحيح هو رأي سيبويه في كونها ميماً واستدل على ذلك بأمرين:

- 1- إنّنا إذا أبدلنا هذه النون ميماً فلا نجد فرقاً بين النطقين.
- 2- إنّها إذا كانت مخفأة - على رأي الفراء- فهي بمنزلة النون السابقة للقف، والكاف، الذي يُسمع غير هذا¹⁹⁸.

لقد كان الاختلاف بين نحاة المدارس النحوية وعلى رأسهم المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية غزير المادة عظيم النفع، قد كشف لنا عن غبقرية علمية فذة امتاز بها علماء النحو

¹⁹⁸ - السيرافي، أبو سعيد: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تحقيق: صبيح التميمي، ط1/ 1405 هـ- 1985 م، ص46.

قديمًا في دراساتهم النحوية. كما أسهم الخلاف النحوي في إثراء الدرس اللغوي وتوسيع مدارك الباحثين، حيث أظهر مرونة القواعد النحوية في استيعاب دلالات المعاني المختلفة وإبراز إعجاز النص القرآني، عبقرية اللغة العربية وغناها في استيعاب العلوم والمعارف.

المحاضرة العاشرة: المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية 1

موقع الأندلس:

جاء في معجم البلدان: "وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس، وإلى طبرقة إلى جزائر بني مزغناي ثم إلى نكور ثم إلى سبتة ثم إلى أزيللي ثم إلى البحر المحيط"¹⁹⁹.

فتح المسلمون الأندلس في عهد الخلافة الأموية على يد موسى بن نصير وقائده الشجاع طارق بن زياد سنة 92هـ، فهاجرت القبائل العربية إلى تلك البلاد المفتوحة لتعمرها، وكان منها قبائل عدنانية وقحطانية ويرى المؤرخون أن بعض هذه القبائل بقيت في الأندلس ولم ترجع إلى المشرق مرة أخرى، وبقيت سلالتها مثل الأوس والخزرج²⁰⁰ وانتشرت القبائل في هذه البلاد، الجميلة وصاروا كثرة مما جعل العربية تنتشر بين أهل هذه البلاد؛ لأن اختلاط العرب بهم مكنهم من تعلم لغتهم حتى إنها غلبت على لغة البلاد الأصلية. وكان سقوطها في أيدي النصارى سنة 1492 ميلادية 897 هجرية، وتعرف اليوم إسبانيا.

النحو في الأندلس:

لما استتب الحكم لبني أمية وتوطدت أركان دولتهم بالأندلس نشطت حركة علمية وثقافية في شتى مجالات العلوم في الفقه واللغة والنحو وغيرها... يقول محمد الطنطاوي: "... لما استقر بنو أمية بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل وتوطد فيها الملك له وتعقبه من بعده استقبلت الأندلس عهداً جديداً وبدأت الحركة العلمية فيه".

انتقل النحو العربي إلى بلاد الأندلس من طريق العلماء الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق لطلب العلم واتصالهم بالنحاة المشاركة خاصة في مصر، ودخل النحو كذلك من طريق العلماء الوافدين من المشرق إلى الأندلس؛ والظاهر أن النحو الكوفي كان أسبق من النحو البصري إلى الأندلس.

¹⁹⁹ - ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1/263.

²⁰⁰ - ينظر نفح الطيب للمقرئ 1/138، تحقيق د/ إحسان عباس. دار صادر. بيروت (1388هـ - 1968م)

يقول شوقي ضيف: "وأول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي "جودي بن عثمان" الموروري الذي رحل إلى المشرق وتعلم عن الرياشي والكسائي والفراء، وهو أول من أدخل إلى موطنه كتب الكوفيين، وأول من صنف به في النحو"²⁰¹. وهو أول من أدخل كتاب الكسائي. وأما عن الوافدين بالنحو من المشرق إلى الأندلس نجد على رأسهم (القالبي) صاحب كتاب "الأمالي". تقول خديجة الحديثي: "وكان من أشهرهم أبو علي اسماعيل ابن القالي البغدادي (ت 356هـ)، دخل الأندلس سنة 330 هـ حاملاً كتاب سيبويه الذي قرأه على ابن درستويه، وناظره فيه واستفسره عن مسائله ودقق النظر فيه وكتب عنه تفسيره وعلل العلة وأقام عليها الحجة، وأظهر فضل مذهب البصريين"²⁰²

وتأكيداً لأسبقية النحو الكوفي إلى الأراضى الأندلسية يذكر محمد المختار ولد أباه "جودي بن عثمان" الذي ارتحل إلى المشرق ثم عاد بالنحو الكوفي إلى الأندلس يقول: "بدا أن أول من اختص في النحو هو جودي بن عثمان الذي قيل عنه إنه أول من صنف في النحو في الأندلس بعدما تتلمذ للكسائي والفراء، وهكذا شق النحو الكوفي طريقه إلى الأندلس".

ثم يذكر المختار ولد أباه وصول النحو البصري إلى الأندلس على يد محمد بن يحيى المهلبى الرباحي تلميذ أبي القالي. حيث يقول: "وكان رائد هذه الحركة محمد بن يحيى المهلبى الرباحي تلميذ أبي جعفر النحاس، حيث أخذ عنه كتاب سيبويه.. لقد كان الرباحي من ألمع اللغويين في المشرق، ولما دخل الأندلس بث فيها معارفه الواسعة بالأدب والشعر واللغة، ولقد وجد الرباحي الدراسة النحوية قاصرة على المؤدبين"²⁰³.

تقول خديجة الحديثي: "رحل [تقصد محمد بن يحيى الرباحي] إلى المشرق فلقي أبا جعفر النحاس أكبر نحاة مصر في زمانه ومن المهتمين بكتاب سيبويه الذي كان محور الدرس النحو في مصر فحمل الرباحي عنه هذا الكتاب رواية ولازم (علان) وناظره وكان دقيق النظر جيد القياس

²⁰¹ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 288.

²⁰² - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 312.

²⁰³ - ينظر: محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو في المشرق والمغرب، ص 224.

حمل الرياحي الكتاب وعاد إلى قرطبة ولزم التأديب بنحو البصرة المتمثل بكتاب سيبويه في داره²⁰⁴.

ويُعدّ محمد بن موسى بن هشام بن يزيد المعروف بالأفشينق القرطبي مولى المنذر²⁰⁵ (ت 307هـ) رحل إلى المشرق. أيضا. ولقى بمصر أبا جعفر النحاس الدينوري، وأخذ عنه كتاب سيبويه رواية وانتسخه عنه - أيضا - وبالبصرة أخذ عن المازني، وعاد إلى الأندلس ومعه الكتاب²⁰⁶.

منهج نحاة الأندلس في النحو العربي:

أخذ نحاة المدرسة الأندلسية النحو عن نحاة المدارس الثلاث (البصرة، والكوفة وبغداد). وقد اختلفت مراتب الأخذ عنهم كما وكيفا، فكان لاختلاف الأصول لدى نحاة الأندلس، أثر واضح في تباين الآراء لديهم وتفرقها، فكان منهجهم في النحو منهجا منتخبا يقوم على الانتخاب من المدارس الثلاث، فنرى بعضهم يتأثر بالكوفيين، وبعضهم يتأثر بالبصريين أو البغداديين²⁰⁷، وهكذا.

إضافة إلى الآراء التي انفردوا بها وبعض الأصول التي توسعوا فيها، حيث أخذوا بالاستشهاد بالأحاديث كالسهيلى، وابن خروف، وابن مالك²⁰⁸، أو الدعوة إلى إلغاء العلل الثواني والثالث وإلغاء العامل، وظهور عوامل جديدة عندهم كالقصد والإهمال، مثل فعل ابن مضاء القرطبي.

النحاة الأوائل في الأندلس والمغرب:

1- جودي:

هو جودي بن عثمان الموروري الذي ذكرنا عنه أنه أول من جلب النحو الكوفي إلى الأندلس واسمه: ابن عثمان النحوي المغربي. نشأ في (مورور)، مدينة بالقيروان، ارتحل إلى العراق وسمع عن الكسائي والفراء والرياشي وقرأ عن الكسائي كتاب سيبويه وحمله معه إلى المغرب،

²⁰⁴ - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص

²⁰⁵ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 279.

²⁰⁶ - المصدر السابق، ص 305، وشوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 289.

²⁰⁷ - ينظر: فتحي الدجني: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي. - دار الفلاح - الكويت، ص 394.

²⁰⁸ - ينظر: سعيد جاسم: القياس في النحو العربي، دار الشروق - عمان (1997م). ص 100.

واستقر بقرطبة مدرساً للنحو وتوفي سنة 198هـ. وولى القضاء في (البيرة)، وصنف كتاباً في النحو، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة²⁰⁹.

2- حمدون:

هو محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المشهور بـ: حمدون النحوي، كان مقدماً بعد المهري في اللغة والنحو، وكان يقال: إنه أعلم الناس بالنحو خاصة من المهري لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه، وله كتب في النحو، وأوضاع في اللغة وكان في العربية والغريب والنحو الغاية التي لا بعدها، توفي بعد المائتين²¹⁰.

3- الأفشين:

هو محمد بن موسى بن هشام بن يزيد المعروف بالأفشين القرطبي مولى المنذر، جاء في كتاب: "بغية الوعاة": "قال الزبيدي وابن القرضي كان متصرفاً في علم الأدب والخبر، رحل إلى المشرق ولقي بمصر أبا جعفر الدينوري وأخذ عنه كتاب سيبويه رواية، له كتب مؤلفة منها كتاب طبقات الكتاب وكتاب شواهد الحكم، مات في رجب سنة تسع وثلاثمائة، سمع بقيسارية من عمرو بن ثور مسند الغرياني"²¹¹.

4- محمد بن يحيى الرياحي الأندلسي:

هو محمد بن يحيى الرياحي بالباء الموحدة عند السيوطي في بغية الوعاة²¹²، وعند خديجة الحديثي في كتابها المدارس النحوية (الرياحي) بالياء، محمد بن يحيى المهلب الرياحي تلميذ ابن جعفر النحاس اشتهر بحذق لعلم العربية، ودقة نظره فيها، ولطف مسلكه في معانيها. غاية في الإبداع والاستنباط كما صحب علي بن الحسن المصري المعروف بعلان.. وهكذا أخذ الرياحي علم الرواية عن النحاس وأخذ علم الرواية عن علان، توفي سنة 353هـ.²¹³

5- الزبيدي:

²⁰⁹ - ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين، ص 279

²¹⁰ - ينظر: المصدر السابق، ص 235.

²¹¹ - السيوطي: بغية الوعاة، 1/252.

²¹² - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، 1/123.

²¹³ - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 311-312.

قال الذهبي في السير: " إمام النحو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الشامي الحمصي ثم الأندلسي الإشبيلي، صاحب التصانيف، سمع سعيد بن فحلون وقاسم بن أصبغ، وأبا علي القالي، وأخذ العربية عن القالي، وعن أبي عبد الله الرياحي روى عنه ولده أبو الوليد محمد بن محمد وإبراهيم بن محمد الأفليلي وولده الآخر أبو القاسم أحمد الأديب قاضي إشبيلية. طلب المستنصر صاحب الأندلس أبا بكر الزبيدي من إشبيلية إلى قرطبة للاستفادة منه، فأدب جماعة، واختصر كتاب العين، وألف الواضح في العربية، وهو مؤدب المؤيد بالله هشام، توفي في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وله ثلاث وستون سنة²¹⁴ وكذلك من مؤلفاته: طبقات النحويين و اللغويين.

6- الأعلام الشنتمري:

أبو الحجاج يوسف بن سليمان لقب بالأعلم بسبب شق في شفته العليا، ولد بمدينة أندلسية تسمى (شنتمرية) اشتهر بحافظته القوية وحدة ذكائه فقد كان مقصداً لطلاب العلم كان في مؤلفاته ذا ميولات أدبية، توفي بإشبيلية سنة 476هـ، من مؤلفاته: شرح الجمل للزجاجي شرح شواهد سيوبه، وشرح ديوان زهير، وشرح ديوان الحماسة²¹⁵

7- ابن السيد البطليوسي:

مما قال عند الدكتور محمد ولد اباه: "من مشاهير علماء الأندلس أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي، لقد تنقل هذا العالم بين حواضر الجزيرة من بطليوس إلى طليطلة... ثم لجأ إلى بني هود في سرقسطة، ثم عاد إلى قرطبة في عهد ابن الحاج وأخيراً استقر ببليسية وعكف على التأليف والإقراء و أما كتبه في اللغة و النحو فمن أشهرها إصلاح الخلل الواقع في الجمل، والحلل في شرح أبيات الجمل، كما شرح فصيح ثعلب و مثلثات قطرب وأبيات المعاني، وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة و ديوان المتنبي وسقط الزند للمعري... توفي سنة 521هـ²¹⁶

8- ابن الطراوة:

²¹⁴ - الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، 417/16.

²¹⁵ - ينظر: المصدر السابق، 556/18.

²¹⁶ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، 532/19 - 533.

ابن الطراوة أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله السبتي المالقي، كان إمام النحاة في عصره شرقاً وغرباً شيوخه سمع كتاب سيبويه عن الأعلام يوسف بن سليمان، كما أخذ عن ابن مروان بن سراج، ومن تلاميذه أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الخثعمي المالقي المشهور السهيلي توفي بالقاهرة سنة 745هـ²¹⁷.

9- ابن الباذش:

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف، وُلد بَغْرَنَاطَة، كان حسن الخط من أهل المعرفة بالأدب واللغة، برع أيضاً في القراءات وله فيها كتاب (الإقناع في القراءات السبع) كان مشاركاً في الحديث عالماً بأسماء رجاله ورواته، حَدَّثَ عن القاضي عياض وأُمِّ بجامع غرناطة، بذل همته في النحو فشرح أمّهات الكتب التي صنفها البصريون والبغداديون وغيرهم، فقد شرح كتاب سيبويه، وأصول ابن السراج، ومقتضب الميرد، وإيضاح الفارسي، وجمل الزجاجي، والكافي للنحاس، كان يتابع سيبويه، والسَّيرافي وأبا علي الفارسي وابن جني على وجه الخصوص. توفي بغرناطة سنة 538هـ²¹⁸.

10- اللخمي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي السبتي، ولد في سبّنة، مهر في النحو واللغة وصنف فيهما مصنفات متعدّدة منها: نكت على شرح أبيات سيبويه للأعلم، الفصول، المجل في شرح أبيات الجمل، المدخل إلى تقويم اللسان، تعليم البيان، لحن العامة، وغير ذلك. توفي في سبته في سنة 570هـ²¹⁹.

11- ابن طاهر:

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر المعروف بالخدب، أي: الرجل الطويل وهو نحوي حافظ بارع، وُلد باشبيلية، أخذ الكتاب عن ابن الرّمّاك، رحل إلى المغرب وعمل في فاس بالخياطة وأقرأ فيها كتاب سيبويه واشتهر بين أهلها بتدريسه له. توفي بفاس في سنة 580هـ²²⁰.

12- أبو القاسم السهيلي:

أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب، ولد سنة 508هـ بمدينة مالقة بالأندلس، من شيوخه في القراءات أبو داود الصغير سليمان بن يحيى كان

²¹⁷ - السيوطي: بغية الوعاة، 602/1.

²¹⁸ - ينظر: المصدر السابق، 142/2.

²¹⁹ - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة، 48/1.

²²⁰ - ينظر: المصدر السابق: 28/1.

السهيلي واسع المعرفة غزير العلم نحوياً متقدماً لغوياً، من مصنفاته أمالي السهيلي، الروض الأنف والمشرع الروي، تفسير سورة يوسف، نتائج الفكر، توفي بمراكش 581هـ²²¹.

13- ابن مضاء القرطبي:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي، نشأ في قرطبة وأخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه اشتهر بالفقه الظاهري والحديث النبوي، ولي القضاء للموحدين (بفاس) فأغرى الناس بالظاهرية ونقل هذا الفكر إلى النحوي العربي فرفض تعليقات النحاة و أقيستهم وهاجم العلل الثواني والثالث، كما هاجم التمارين غير العملية التي تصدر عن افتراضات النحاة، توفي سنة 592هـ، من مؤلفاته: كتاب الرد على النحاة، المشرف في النحو²²².

14- الجزولي:

هو أبو موسي بن يَلْبُخْت "وهو اسم بربري معناه ذو الحظ" بن عيسى بن يوما ريلي. ولما حجَّ عرج على مصر فتلقَّى عن نحوها ابن بَرِّي وقد قرأ عليه كتاب الجمل للزجاجي. من مؤلفاته "المقدمة الجزولية" وسمى أيضا "القانون". شرحها الشلوبيني وشرحها ابن مالك. ومن مصنفات الجزولي أيضا شرحه لأصول ابن السراج. تتلمذ عليه الشلوبين وابن معطٍ. توفي في "آزمور" من أعمال مراكش في سنة 607 هـ²²³.

15- ابن خروف

هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بابن خروف الإشبيلي ولد في أشبيلية وأخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالخدب، له مصنفات شهدت بفضله منها: شرح كتاب سيبويه، وشرح جمل الزجاجي، أقرأ النحو في عدة بلاد وفي الأندلس. اشتهر بمناظراته مع السهيلي، توفي في أشبيلية في سنة 609 هـ وقال ياقوت أنه توفي في أشبيلية في سنة (606 هـ) عن خمس وثمانين سنة²²⁴.

16- ابن مُعْطِي:

²²¹ - ينظر : المصدر السابق: 81/2.

²²² - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص304-305.

²²³ - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة 236/2

²²⁴ - ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء 75/15، و السيوطي: بغية الوعاة 203/2

هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور أبو الحسين زين الدين الزواوي المغربي، من قبيلة زواوة، ولد بالمغرب، كان إماماً مبرزاً في العربية وناظماً كبيراً، وكان يحفظ شيئاً كثيراً ومن جملة محفوظاته كتاب صحاح الجوهري، قرأ على الجزولي في المغرب، ثم رحل إلى دمشق واستوطنها وأقرأ النحو فيها، ثم رحل إلى القاهرة واستقر بها وتصدّر يعلم الطلاب بالجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) النحو والأدب على أجرٍ جزيل.

من مصنفاته "الألفية" ف ي النحو وقد عُرفت باسم "ألفية ابن معطي" وإليها أشار ابن مالك في مستهل ألفيته وله أيضاً شرح جمل الزجاجي وشرح أبيات سيبويه، ومنظومة ف ي القراءات السبع، وكتاب العقود والقوانين، وكتاب "الفصول الخمسون" ف ي النحو أيضاً، وحواشي على أصول ابن السراج. توفي بلقاهرة سنة 628هـ²²⁵.

17- الشلّوبين:

هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأستاذ أبو عليّ الإشبيلي المعروف بالشلّوبين. أخذ عن السُّهيلي والجزولي وغيرهما، أقرأ النحو نحو ستين سنة وبرع ف ي تلاميذه جلة من النحاة، كان إماماً في العربية. انتهت إليه رئاسة النحاة في الأندلس غير مدافع. كان يقف تارة مع سيبويه والبصريين، وتارة مع النحاة الآخرين من موطنه وغير موطنه، وله أيضاً آراء كثيرة انفرد بها ومن ذلك: ذهابه إلى أنّ (عيونا) في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ (القمر: 12) ليست تمييزاً وإنما هي حال²²⁶، من مصنفاته النحوية: التعليق على كتاب سيبويه، شرحان على المقدمة الجزولية، كتاب التوطئة في النحو، كانت إقامته في إشبيلية وتوفي فيها سنة 645 هـ²²⁷.

من خلال هذا العرض المفصل لهذه المحاضرة يتبين لنا جلّياً كثرة علماء العربية في المدرسة الأندلسية، وغزارة التأليف في النحو العربي، وكثرة الشروحات واهتمامهم بكتب المشاركة مثل كتاب سيبويه، والكسائي، والمقتضب والكمال للمبرد، و معاني القرآن للفراء، ووالتكملة والحجة لأبي علي

²²⁵ - ينظر: ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب 129/5، دار الآفاق الحديثة. بيروت، وياقوت الحموي: معجم الأدباء

35/20. والسيوطي: بغية الوعاة 344/2

²²⁶ - ينظر: الشلّوبين: التوطئة، تحقيق: يوسف المطوع. دار التراث العربي. ص 285

²²⁷ - ينظر: وابن العماد: شذرات الذهب، 232/5، والسيوطي: بغية الوعاة 224/2

الفارسي، والخصائص وأسرار العربية لا بن جني، مما يدل على أنهم تأثروا بالمدارس النحوية الثلاث وهي: المدرسة البصرية، والمدرسة الكوفية، ولامدرسة البغدادية.

المحاضرة الحادية عشرة: المدرسة النحوية الأندلسية و المغربية 2

تمهيد:

لما ضعفت دولة بني أمية في بلاد الأندلس تمزقت سياسيا وإقليميا، ف تقاسمها ملوك الطوائف، فاستولى كل واحد منهم على إقليم من أقاليمها، فلنقسمت الدولة إلى عدة دويلات تتنازع فيما بينها. لكن في هذه الظروف السياسية المشحونة بالفتن شهد نهضة علمية وفكرية لم تبلغها الأندلس قبل هذا العصر، وحفل ملوك الطوائف بالعلماء والأدباء والشعراء وازدانت بهم قصورهم وقصورهم حق قدرهم، وتنافس الأمراء في ذلك، فازدهرت الحياة العلمية والأدبية في ذلك العصر.

ومن أشهر هذه الدويلات: دولة بني جهور في قرطبة (222 هـ - 462 هـ)، ودولة بني عباد في أشبيلية (414 هـ - 484 هـ)، ودولة بني الأفطس في بطليوس (413 هـ - 488 هـ)، ودولة بني ذى النون في طليطلة (427 هـ - 478 هـ)، ودولة بني مناد في غرناطة (403 هـ - 483 هـ)، ودولة بني صمادح في المرية (433 هـ - 484 هـ).²²⁸

ثم ظهرت دولة الموحدين التي أسسها محمد بن توموت وحاربت المرابطين في إفريقيا والأندلس، وامتد حكمها من عام 542 هـ إلى 668 هـ، ولما صار الأمر لهم سلكوا مسلك بني أمية وملوك الطوائف ف تشجيع العلم والعلماء. ثم قامت دولة بني الأحمر على أنقاض دولة الموحدين واتخذوا غرناطة عاصمة لهم بعد سقوط معظم بلاد الأندلس في أيدي الفرنجة، وشاء الله أن يخفت صوت المسلمين في هذه البلاد الساحرة التي شهدت عصورا من الحضارة الإسلامية العريقة، وقد دام حكم بني الأحمر من عام 669 إلى عام 897 هـ

²²⁸ - ينظر دول الطوائف ص 107 - 144 أ/ محمد عبد الله عنايد دار الكتاب العربي - القاهرة ط ثانية (1389 هـ . 1969 م)

وظل بنو الأحمر حكاماً للأندلس حتى تغلب عليهم الأسبان وأخرجوا العرب من الأندلس وبذلك انتهى حكم العرب للأندلس²²⁹.

في هذه المحاضرة سنتطرق إلى أشهر نحاة الأندلس في الفترة التي أعقبت سقوط دولة بني أمية في بلاد الأندلس، وظهر دويلات ملوك الطوائف ابتداء من سنة 222هـ، حيث تعتبر هذه المرحلة مرحلة الإبداع والتجديد.

نحاة الأندلس المتأخرون:

1- ابن هشام الخضراوي:

هو أبو عبد الله بن يحيى بن هشام، من أهل الجزيرة الخضراء في الأندلس، أخذ النحو عن ابن خروف وأخذ القراءات عن أبيه، وأخذ عنه الشلوّيين وعُني في تصنيفه بكتاب الإيضاح للفرسي فألف "الإفصاح بفوائد الإيضاح" وصنف أيضاً "فصل المقال في أبنية الأفعال" و"النقض على الممتع" لابن عصفور، له آراء نحوية مختلفة مبثوثة في المغنى والهمع يتفق في طائفة منها مع البصريين أو الكوفيين أو سابقيه من الأندلسيين وفي طائفة أخرى يستقل عنهم جميعاً، فقد انفرد مثلاً بالقول أن (حتى) العاطفة يتحتم أن يكون معطوفها ظاهراً لا مضمرأً قياساً على أن ذلك شرط مجرورها²³⁰ عند النحاة وانفرد أيضاً بالقول إنّ (ما) في (لاسيما) زائدة لازمة لا تحذف البتة²³¹، توفي في تونس في سنة 646هـ²³².

2- ابن الحاج:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي المعروف بابن الحاج، قرأ على الشلوّيين وغيره، ومهر في اللغة والنحو. من مصنفاته النحوية واللغوية، شرح على سر الصناعة لابن جني، ومختصر للخصائص لابن جني، وشرح على إيضاح الفرسي، وقد اشتهر بإيراداته -

²²⁹ - ينظر: عبد العزيز عبد العزيز المرسي الحداد: الأصول النحوية للمدرسة الأندلسية، التمهيد، ص 3-4.

²³⁰ - ينظر: ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، ص 171

²³¹ - ينظر: السيوطي: همع الهوامع 234/1

²³² - ينظر: السيوطي: بغية الوعاة 267/1،

أى اعتراضاته - على كتاب المقرّب لابن عصفور، وله إملاء مهم على كتاب سيبويه، توفي في سنة 651هـ وقيل في سنة 647هـ²³³.

3- ابن عصفور:

هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشبيلي، أخذ عن الشلوبين ولازمه مدة ثم حدثت بينهما جفوة وقطيعة، صنف الممتع في التصريف، وشرح الجزولية، وثلاثة شروح على جمل الزجاجي، والمقرب ولم يتمّه، ومختصر المحتسب لابن جني²³⁴، من آرائه التي انفرد بها اختيار المصدر نائباً للفاعل إذا اجتمع مع الظروف أو الجار والمجرور مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة: 13). وانفرد بالذهاب إلى أن "لكن" في مثل "ما قام زيدٌ ولكن عمرو" هي العاطفة والواو زائدة لازمة²³⁵. توفي في سنة 663هـ وقيل سنة 669هـ.

4- ابن مالك:

هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك جمال الدين أبو عبد الله الجيّاني، أهم من يُحسب في الأندلسيين وإن عاش زمناً طويلاً في المشرق، ولد بجيآن في سنة 600هـ أو في سنة 601هـ وسمع من الشلوبين في الأندلس أياماً ثم ورد المشرق حاجاً ولقي ابن الحاجب في مصر في حوالي 620هـ وأخذ عنه. كان أمة في الاطلاع على كتب النحاة وآرائهم، وله منهج خاص في الاستشهاد النحوي، كان يستشهد بالقرآن، فإن لم يجد في الحديث الشريف، فإن لم يجد فبأشعار العرب. له مؤلفات كثيرة شهدت بطول باعه في علوم العربية، منها: الكافية الشافية، وشرحها، والخلاصة التي حظيت بشروح كثيرة حيث تدرس في الجامعات العربية، ومنها: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، وإيجاز التعريف في علم التصريف، والتسهيل وشرحه، وغيرها²³⁶. وقال السيوطي: "لابن مالك في النحو طريقة سلكها بين طريقى البصريين والكوفيين، فإن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها

233- السيوطي: بغية الوعاة 359/1

234- ينظر: خير الدين الزركلي: الإعلام، دار العلم للملايين - بيروت (1989م)، 27/5

235- ينظر: ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص 386

236- السيوطي: بغية الوعاة 130/1، وخير الدين الزركلي: الإعلام 111/7.

الظاهر. وابن مالك يعلم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ولا تأويل، بل يقول: إنه شاذ أو ضرورة كقوله في باب التمييز²³⁷:

وعامل التمييز قدم مطلقاً *** والفعل ذو التصريف نزرًا سبقا

قال ابن هشام: "وهذه الطريقة طريقة المحققين، وهي أحسن الطريقتين".²³⁸

وجاء في مقدمة التسهيل: "أن ابن مالك قام بأكبر عملية تصفية تمت في تاريخ النحو، وخطا به الخطوة الأخيرة التي استقر بعدها في صورته الثابتة إلى اليوم".²³⁹ توفي رحمه الله في دمشق سنة 672 هـ.

5- ابن الضائع:

هو محمد بن علي بن يوسف الإشبيلي المعروف بابن الضائع، أبو الحسن. لازم الشلوبين وأخذ عنه كتاب سيبويه، ردّ اعتراضات ابن الطراوة على صاحب الإيضاح، واعتراضات ابن السيد على الزجاجي، وأملى على إيضاح الفارسي. من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه، وشرح جمل الزجاجي. توفي 680 هـ.²⁴⁰

6- أبو حيان الأندلسي:

هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي النفري، نحوي عصره ولغوي ومفسره، ومحدثه ومقرئه وأديبه، ولد سنة (654 هـ)، أخذ القراءات عن أبي جعفر ابن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأندلسي، وأبي جعفر ابن الزبير، وابن الضائع، وغيرهم، قال الصفي: لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل، أو يكتب، أو ينظر في كتاب... وهو الذي جسّر الناس على مصنفات ابن مالك، من تصانيفه: البحر المحيط، والتذيل والتكميل، والارتشاف، والتذكرة في العربية، والمبدع في التصريف، وغيرها. توفي 745 هـ.²⁴¹

237- ألفية ابن مالك، نشر مكتبة ابن تيمية (1413 هـ - 1493 هـ)، ص 85

238- السيوطي: الاقتراح، تحقيق د/ أحمد قاسم. مطبعة السعادة. ط أولى (1396 هـ - 1977 م)، ص 86، والمدارس النحوية ص 310 - 317.

239- مقدمة التسهيل، تحقيق د./ محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي، ص (هـ)

240- ينظر: السيوطي: بغية الوعاة 1/354.

241- السيوطي: بغية الوعاة 1/280، ابن العماد: شذرات الذهب 6/145،

7- أبو إسحاق الشاطبي:

هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الحافظ، أبو إسحاق الشاطبي من أئمة علماء عصره في علوم العربية وعلوم الشريعة. من شيوخه أبو جعفر الشفوري، وأبو القاسم السبتي، والخطيب بن محمد المرزقي، من مؤلفاته: الموافقات في أصول الشريعة، والاعتصام، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، وهو شرح لألفية ابن مالك، توفي 790هـ²⁴².

8- ابن الضائع:

هو محمد بن علي بن يوسف الإشبيلي المعروف بابن الضائع، أبو الحسن. لازم الشلوبين وأخذ عنه كتاب سيبويه، ردّ اعتراضات ابن الطراوة على صاحب الإيضاح، واعتراضات ابن السيد على الزجاجي، وأملى على إيضاح الفارسي. من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه، وشرح جمل الزجاجي. ت (680هـ)²⁴³.

9- أبو الحسن ابن أبي الربيع:

هو أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي الأموي، إمام النحو في زمانه، حصل من أبيه على إجازات من صحيح مسلم، وسنن الترمذي، وتلقى النحو عن الشلوبين. من مصنفاته: البسيط في شرح جمل الزجاجي، الكافي في الإيضاح عن مسائل كتاب الإيضاح، والمخلص في ضبط قوانين العربية، وشرح كتاب سيبويه، وشرح إيضاح الفارسي وغيرها. ت (688هـ)²⁴⁴.

10- ابن أجروم:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود الصنهاجي، ولد سنة 672هـ، اشتهر بكتاب الآجرومية و(آجروم) بالبربرية (الفقير الصوفي)، ولد ونشأ بفاس، ذهب إلى الحج واستقر زمنًا بالقاهرة، ومن شيوخه أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، لما عاد مكث بفاس يعلم النحو

²⁴² - ينظر: عمر كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ص 1376

²⁴³ (ينظر: بغية الوعاة 354/1، وهداية العارفين وأسماء المؤلفين، لإسماعيل باشا البغدادي. إستانبول (1955م) 713/1

²⁴⁴ (الإحاطة في أخبار غرناطة 157/3 لابن الخطيب - القاهرة (1956م)، ونفح الطيب 210/2، والبغية 125/2

والقرآن، توفي سنة 723هـ. من مؤلفاته: المقدمة الآجرومية في مبادئ علم العربية، شرح لمنظومة الشاطبي²⁴⁵.

في هذه المرحلة من تاريخ النحو العربي في بلاد الأندلس وخاصة عند من ذكرنا من هذه الثلة المباركة من النحاة عرف النحو نشاطا علميا متميزا عن سابقه وتجديدا منهجيا فريدا حيث نجد ابن مضاء القرطبي قد ثار على النحاة الأوائل في استعمالهم العلل الثواني والثالث متأثرا بذلك بشيخه محمد بن حزم الذي كان يستدل على بيان الأحكام الفقهية بظواهر النصوص، فانتخب بذلك مذهبا له أطلق عليه "المذهب الظاهري" في الفقه، فاتخذ ابن مضاء هذا المنهج وطبقه على النحو مستبعدا بذلك العلل الثواني والثالث والتي تسمى بالعلل القياسية والعلل الجدلية.

ثم نجد عالما آخر سلك في دراساته النحوية مسلك المناطق، فاستخدم المنطق في استدلالاته وتحليلاته على الأحكام النحوية وهو أبو موسى الجزولي في مقدمته النحوية، التي اعتبرها كثير من النحاة أنها مقدمة في المنطق وليس في النحو. يقول المختار ولد أباه: "والمقدمة - مقدمة الجزولي - من بديع المختصرات التي نشأت في هذا العصر وعرفت تطورا كبيرا فيما بعد، وإبداع الجزولي واضح في نظمه وشدة اختصاره، وفي أسلوبه المشرب بالصيغ المنطقية الدقيقة، فجاءت وكأنها مذكرة الحافظ، تسعف دارسها باستظهار القواعد الأساسية، في كلمات معدودات في كل باب من أبواب النحو.²⁴⁶ ومن مظاهر التجديد كذلك في هذه المرحلة التي يمكن أن نسميها مرحلة الإبداع بعد مرحلة التأسيس التي سلكها النحاة الأندلسيون الأوائل من أمثال جودي بن عثمان الموروري، والأعلم الشنتمري، وابن الطراوة، ظهور التأليف في علم التصريف على يد ابن عصفور الذي يعتبر ابن جني زمانه، حيث أعاد الاعتبار إلى علم التصريف بعد أن كاد يندرس. يقول محمد المختار ولد أباه: "غير أن أهم مؤلفاته كتاب الممتع في التصريف، ولقد كان من ميزات ابن عصفور أن رد الاعتبار إلى علم التصريف، الذي يكاد أن يكون نسي بعد سيبويه، والمازني، وابن جني،

²⁴⁵ - ينظر : موقع الألوكة: ترجمة-الإمام-ابن-أجروم-الصنهاجي-الفاسي-ت-723هـ / <https://www.alukah.net/culture/0/87774/>

²⁴⁶ - محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 266.

وذلك أنه أعاد ترتيبه وتنظيمه في كتاب الممتع، وبسط القول في الدفاع عنه، وفي إبراز أهميته، كما شرح أسباب إعراض كثير من العلماء عنه لصعوبة مسلكه²⁴⁷. ومن مظاهر التميز والتجديد التي تميزت هذه المرحلة ظهور مسلك آخر جديد تمثل في الاقتداء بالمدرسة المالكية في دراستها للفروع الفقهية ويمثل هذا الاتجاه يحيى بن معطي الزواوي في ألفيته وأبو علي الشلوبين على ما ذكره المختار ولد أبيه²⁴⁸. ثم تكتمل حلل المدرسة الأندلسية في هذه المرحلة بكمال التحقيق والتدقيق في مسائل النحو وأصوله على يد ابن مالك الذي كان له منهج خاص في الدراسات النحوية، ألزم نفسه به ولم يحاول أن يخرج عنه في كل آرائه واتجاهاته. فكان لمزج ابن مالك لمذاهب السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين ومغاربة، واشتغاله باللغة، والقراءات، والحديث، جعله يذهب في استخراج الشواهد مذهباً يكاد ينفرد به بين كبار النحاة.

فهو يستمد شواهده أولاً من القرآن الكريم، فإن لم يجد به شاهد عدل إلى الحديث الشريف، فإن لم يجد فمن أشعار العرب وكلامهم.²⁴⁹

كان ابن مالك يبحث في تثبيت القواعد النحوية عن الشواهد القرآنية وهي الأصل الأول من أصول الاستشهاد عنده - وأكثر ما يستشهد بها - وله في استحضر الآيات للاستدلال قوة وقدرة، وكان عدد الآيات التي استشهد بها في كتابه (شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت) ستاً وستين وأربعمئة آية.²⁵⁰

²⁴⁷ - محمد المختار ولد أبيه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 274.

²⁴⁸ - المرجع السابق، ص 289-290، وص 293، 296.

²⁴⁹ - ينظر: التسهيل لابن مالك ص 45.

²⁵⁰ - ينظر: ابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدروى، مطبعة العاني، بغداد (1978م). 454/1

المحاضرة الثانية عشرة: الاختلاف النحوي بين مدارس النحو المغرب (2)

تمهيد:

يتميز الدرس النحوي في الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) بمزجه بين المدارس المشرقية (البصرة والكوفة وبغداد) والنزوع نحو التيسير والاستقلالية. وعلى هذا أخذت دراسة النحو تزدهر في الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف، فإذا نحاتها يخالطون جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين، وإذا هم ينتهجون نهج الآخرين من الاختيار من آراء نحاة الكوفة والبصرة، ويضيفون إلى ذلك اختيارات من آراء البغداديين وخاصة أبا على الفارسي وابن جني، ولا يكتفون بذلك، بل يسيرون في اتجاههم من كثرة التعليقات والنفوذ إلى بعض الآراء الجديدة²⁵¹. فتشكلت المدرسة "المغربية الأندلسية" بخصائصها المتفردة من رحم هذا التنوع والخلاف.

وقد برز الأندلسيون في النحو وبرعوا فيه وأحيوا عصر الخليل وسيبويه، ولعل السر في ذلك هو ما كان لهؤلاء من فطرة عجيبة في قوة الذاكرة والحفظ التي اعتقد أنها من أثر جمال الطبيعة في نفوسهم فكانوا في عناية الاستحضار للمسائل البديهية²⁵². وبعد ما تأصلت مسائل مذهبهم، وذاعت قواعده، وكثرت فروعه، شرع المشاركة في أخذه من علمائهم، ولاسيما من أولئك الذين نزحوا إلى المشرق للحج أو للإقامة ومعهم مؤلفاتهم التي درسوها في مساجد الشرق ومدارسه كابن مالك وأبي حيان وغيرهما²⁵³.

يقول الشيخ الطنطاوي مبينا تغلب النحو الأندلسي في القطرين (مصر والشام) على النحو

البغدادى: "السر في تغلب المذهب الأندلسي عند نحاة القطرين على البغدادى تبكير

المغاربة عن المشاركة في النزوح إلى القطرين، واستيطانهما ومعهم مؤلفاتهم وقد تكون لديهم

مذهبهم تدرك أن مذهبهم سبق المذهب البغدادى إلى علماء القطرين، فإن علماءهما قد تتلمذوا لهم

فتشبعوا بروحهم وتغلب المذهب الأندلسي عليهم، فتغلغل في الدراسة والتصنيف والرأى أخيرا،

فألفية ابن مالك الأندلسي التي كثرت الشروح عليها وطاف المؤلفون في القطرين حولها هي التي

251- ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 292.

252- أحمد حسين كحيل: النحو في الأندلس، رسالة خطية. كلية اللغة العربية بالقاهرة، ص 12

1992م)، - دار الشواف. الرياض. ط أولى (1413هـ - 253- ينظر: عبد الكريم محمد الأسمر: الوسيط في تاريخ النحو العربي،

توزعت دراستها على مراحل التعليم باعتبار شروحها سهولة وصعوبة، واختصارا واتساعا، وكذا (الكافية الشافية) له أيضا، وقد راجت أقوال ابن مالك حتى عند المشاركة، فقد نقل الرضى عنه كثيرا في شرحه على (الكافية) لابن الحاجب، وبالجمله فإن اتجاه النحاة بعد اقتفى المنهاج الأندلسي وما برح إلى عصرنا الحاضر في القطرين. ففي هذا العصر فاضت دراسة النحو في أغلب مدن القطرين، وبخاصة في القاهرة ودمشق وحلب.²⁵⁴ فهذا التطور الكبير التي بلغته المدرسة الأندلسية وعلو شأنها في العالم الإسلامي، ما هو إلا نتيجة لما تميزت بها من تعدد مصادر الأخذ والتلقي.

إن الدارس للنشاط العلمي الذي أنتجه النحاة الأندلسيون يجده قد اختلف في عدة مناحي واتجاهات وأخذ أساليب ومناهج متنوعة يمكننا أن نوجزها فيما يلي:

1- الاختلاف في أصل من أصول النحو:

ويمثل هذا الاتجاه ابن مضاء الأندلسي القرطبي، الذي دعا إلى الثورة على العلل ونفيها ونفي العوامل، وهو دعوة إلى نفي العلل الثواني القياسية، والعلل الثالث الجدلية، والإبقاء على العلل الأولى وهي العلل التعليمية الطبيعية الأصلية التي ترتبط باللغة مباشرة، من خلال كتابه الذي اشتهر به وهو كتاب "الرد على النحاة"، والذي أحدث ثورة فكرية عارمة في أصول التفكير النحوي، ومازال صدى تلك الثورة يتردد في مجالات الدرس النحوي إلى زماننا هذا. والدارسون كانوا حياله بين مناصر للفكرة ومعارض لها، و قد تضمن كتابه: مقدمة. وفصل عن إلغاء العوامل. وفصل يدعو إلى تطبيق النحو من غير عامل ولا معمول. وفصل يدعو إلى إلغاء العامل والمعمول في باب الاشتغال. وفصل عن إسقاط العلل الثواني والثالث. وفصل عن إسقاط التمارين.

وفكرة الثورة على النحو في الدعوة إلى نفي العلل والعوامل، والتقيد ب ما بظاهر التركيب اللغوي أخذها من شيخه محمد ابن حزم الظاهري الأندلسي الأصولي الفقيه الذي كان يستدل على الأحكام الشرعية بدلالة ظاهر النص ورفض الدلالات الأخرى غير الظاهرة

254- محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 160.

تقول خديجة الحديثي: "...أما دعوة الموحدين هذه التي كان ابن مضاء يميل إليها فهي الدعوة إلى الأخذ بمذهب الظاهر في الفقه"²⁵⁵. فهذه الدعوة التي دعا هي تقويض الأسس التي شيد عليها النحو العربي خاصة المذهب البصري.

يقول ابن مضاء: "وإن رأيت النحويين - رحمة الله عليهم - قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانتها من التغيير فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أملوا وانتهاوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم، و تجاوزوا القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكهم، ووهنت مبانيها، وانحطت عن رتبة الإقناع حجتها"²⁵⁶ وعن الفصل الذي خصصه لدعوته إلى إلغاء العوامل نراه لا يعترف بفكرة العامل التي ارتكز عليها النحاة القدماء، يقول: "وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها، لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع"²⁵⁷

وفي الفصل الثاني الذي دعا فيه إلى تطبيق النحو من غير عامل ولا معمول واختار له باباً من أبواب النحو هو: باب التنازع. يرفض مصطلح (العمل) ويقترح مصطلح (التعليق) الذي يستعمله النحاة في (حروف الجر) ويريد ابن مضاء أن يقحمه في باب التنازع، فيقول: "فأما في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا في أن أقول: "علقت" ولا أقول "أعملت" والتعليق يستعمله النحاة في المجرورات وأنا أستعمله في المجرورات والفاعلين والمفعولين"²⁵⁸

والتنازع في النحو هو أن يسلط عاملان على معمول واحد ويطلب هذان العاملان كلاهما هذا المعمول، جاء في المعجم الميسر: "التنازع هو تركيب نحوي يتقدم فيه عاملان على اسم يطلب كل واحد منهما أن يكون معمولاً له، فيعمل الواحد منهما في لفظه الظاهر

²⁵⁵ - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 314.

²⁵⁶ - ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، ص 09.

²⁵⁷ - المصدر السابق، ص 70.

²⁵⁸ - المصدر السابق، ص 85.

والآخر في ضمير لأنه لا يمكن تسليط عاملين على معمول واحد، نحو: وقف وخطب
سمير. سمير: فاعل خطب وضميره فاعل وقف²⁵⁹

والخلاف في التنازع في العوامل موجود ومقرر عند البصريين والكوفيين في أي
العاملين أولى بالعمل؟ الأول أو الثاني. فلكوفيون يرون العامل الثاني أولى بالعمل لقربه من
المعمول، والبصريون يرون العامل الأول أولى لأوليته. لكن نفيه أو إلغاؤه لم يذكر في تاريخ
النحو العربي إلا عند ابن مضاء فقط²⁶⁰.

أما في الفصل الثالث فقد دعا إلى إلغاء العامل والمعمول في باب الاشتغال، ويرى
أنه تعسير وتعقيد، فيقول: "ومن الأبواب التي يظن أنه يعسر على من أراد تفهيمها أو
تفهمها لأنها موضع عامل ومعمول والداعية إلى إنكار العامل والمعمول باب اشتغال الفعل
عن المفعول بضميره، مثل قولنا: "زيداً ضربته"²⁶¹

وفي الفصل الرابع: الذي وسمه بـ"إسقاط العلل الثواني والثالث". فيه دعوة صريحة
إلى إسقاط العلل الثواني والثالث. وهذه العلل قسمها الزجاجي في كتابه الإيضاح في علل
النحو إلى ثلاثة أقسام: علة تعليمية وهي العلة الأولى، وعلة قياسية وهي على ثواني، وعلة
جدلية وهي علة ثالثة، فيقول: "وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب، علل تعليمية وعلل
قياسية وعلل جدلية نظرية، فأما التعليمية فهي التي تتوصل بها إلى تعلم كلام العرب... وأما
العلة القياسية فأن يقال لمن قال نصبت زيداً بأن... لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي
إلى مفعول... وأن العلة الجدلية النظرية فكل باب يعتل به في باب (إن) بعد هذا"²⁶² فلبين
مضاء يقر فقط بللعل الأول ويفض ما سواها. يقول ابن مضاء: "ومما يجب أن يسقط في

- المعجم الميسر، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/1999م، ط1، ص32.²⁵⁹

- ينظر: الأنباري: الإتيان في مسائل الخلاف، 71.²⁶⁰

- ابن مضاء: الرد على النحاة، ص95.²⁶¹

- ينظر: الإيضاح في علل النحو، ص65.²⁶²

النحو، العلل الثواني والثالث، وذلك مثل سؤال السائل عن زيد من قولنا: قام زيد لم رفع ؟ فيقال: لأنه فاعل ... فيقول لم رفع الفاعل فالصواب أن يقال هكذا نطقت العرب²⁶³

2- الاختلاف في المنهج:

وهذا الاختلاف داخلي بين نحاة المدرسة الأندلسية، ويظهر في اختلاف النحاة في طريقة تناولهم للمسائل النحوية وردهم على بعضهم البعض من ذلك:

سننطلق بغية الوقوف على أهم مظاهر الاختلاف النحوي في المدرسة الأندلسية

المغربية من خلال منهج مبني على ثلاثة محاور وهي:

- اختلاف شامل مع كل المدارس النحوية بما فيها المدرسة الأندلسية المغربية، ويمثل هذا الاتجاه ابن مضاء القرطبي.

- اختلاف بيني واقع بين نحاة المدرسة الأندلسية المغربية من خلال مناظراتهم ومعارضتهم فيما بينهم، وسنقف عند آراء بعض النحاة: ابن الطراوة، السهيلي، الجزولي، ابن عصفور.

- اختلاف بين نحاة المدرسة الأندلسية المغربية وبين مدارس الشرق يتمثل في قضية استقلال نحاة الغرب الإسلامي و تميزهم عن غيرهم.

وعليه سنركز في محاضرتنا هذه انطلاقاً من هذه المحاور الثلاثة باستقصاء آراء كل من

ابن مضاء القرطبي، وآراء ابن الطراوة، والسهيلي، الجزولي وابن عصفور، وآراء هؤلاء وغيرهم مقارنة بالمدارس الشرقية.

خلاف الجزولي للنحاة:

اشتهر الجزولي بمقدمته المعروفة بـ "مقدمة الجزولي" ولقد تقبلها النحاة ودرسوها

واستنبطوا منها عبقرية الجزولي ودقته في التفكير النحوي، يقول عنها الدكتور محمد المختار

- ينظر: ابن مضاء: الرد على النحاة، ص 127. ²⁶³

ولد أباه: "والمقدمة من بديع المختصرات التي نشأت في هذا العصر [أي عصر الجزولي] وعرفت تطوراً كبيراً فيما بعد، وإبداع الجزولي واضح في نظمه وشدة اختصاره"²⁶⁴.
ومن مخالفته النحاة أنه يدقق في التعريف إذ أضاف عبارة (بالوضع) في تعريف الكلام.
يقول الدكتور محمد المختار ولد أباه: "وتتمثل الدقة في تعريفه للكلام بزيادة الإفادة "بالوضع" فقال إنه اللفظ المركب المفيد "بالوضع"²⁶⁵.

ومن الأمثلة على مخالفة أبي موسى الجزولي لجمهور النحاة المصريين، أنه يقول بأن الابتداء عامل في المبتدأ والخبر معاً، وأن أداة الجزم تعمل في الشرط والجواب. وأن الفعل يعمل في المفعول له دون تقدير الحرف، وأنه لا يجوز جره إلا إذا كان مختصاً. وكل هذه الآراء مخالفة لجمهور المصريين واعتمدها الجزولي، في نطاق تصوره لتأثير العامل في الجملة كلها²⁶⁶.

خلاف ابن الطراوة للنحاة:

لقد خالف ابن الطراوة النحاة في كثير من الآراء التي استحدثها، من ذلك أنه يرى أن (لكن) لا تفيد الاستدراك بل هي ضد (لا) يقول ابن أبي الربيع: لا أعلم بين النحويين خلافاً في أن "لكن" للعطف، وإن معناها الاستدراك، ورد ابن الطراوة هذا القول وقال: إن "لكن" ليست للاستدراك وإنما هي ضد "لا" توجب للثاني ما نفي عن الأول. فتقول ما قام زيد لكن عمرو فالمعنى أن عمرا هو الذي قام وكان الأستاذ أبو علي ينفصل عن هذا ويقول: إن الكلام لا يقع إلا جواباً لمن قال قام "زيد" فتريد أن تثبت القيام وتنفيه عن زيد وتوجهه لغيره، فإذا قلت: ما قام زيد فقد جئت بأحد مطلوبيك، وينفي الآخر ما استدركته فقلت لكن عمرو فهذا معنى قولهم "لكن" للاستدراك بعد النفي²⁶⁷.

- محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، 266.264

- المرجع السابق، ص 269.265

- المرجع السابق، ص 268.266

- المرجع السابق، ص 236.267

ومما خالف ابن الطراوة النحاة هو قبوله أن توصف المعرفة بالنكرة، ومن ذلك قول النابغة: (البسيط):

فبتت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع.²⁶⁸
 ناقع عند ابن الطراوة صفة للسم.

وفي رأيه هذا مخالفة للنحاة الذين لا يجوزون وصف النكرة إلا بالنكرة، ولا وصف المعرفة إلا بالمعرفة²⁶⁹.

ومن آراء ابن الطراوة المخالفة للبصريين رأيه في "رُبّ" فهي عند البصريين حرف تقليل، وعند الكوفيين اسم مبني و وافقهم ابن الطراوة في اعتبار "رُبّ" اسماً²⁷⁰.

خلاف السهيلي للنحاة:

يُدقق السهيلي في حدّ التنوين الذي يلحق الأسماء المنكرة المتمكنة والذي يعرف بأنه: نون ساكنة تلحق أواخر الأسماء المتمكنة.

وتتجلى دقة السهيلي في هذا التحديد فيقول: "وتصحیح هذه العبارة عندي أن يقال: التنوين: إلحاق الاسم نوناً ساكنة، لأنّ التنوين مصدر "نونت الحرف" أي ألحقته نوناً"²⁷¹.

إذاً فهو هنا يخالف النحاة في تمييزه المصدر عن الاسم، فعندما قال النحاة إنّ التنوين نون، رفض السهيلي ذلك، فالتنوين عنده إلحاق الاسم نوناً.

ومن مناظرته مع ابن خروف: ذكر بعض الكتاب في عقد له محجورين ذكوراً وإناثاً. فاحتاج إلى تخصيص أنثى من بينهم فقال إحدى المحجورين "فمنع السهيلي هذا الاستعمال، وأجازه ابن خروف.

يرى السهيلي: أن هذا يخالف ما ورد في الشعر في مثل قول العرجي:

²⁶⁸ - ديوان النابغة الذبياني، تح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د ت، د ط، ص 81.

²⁶⁹ - ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، 127.

²⁷⁰ - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 297.

²⁷¹ - أبو القاسم السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح/ عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، 1412هـ/1992م، ط 1، ص 68.

إني أتيت لي يمانية *** إحدى بني الحارث من مذحج

فقال إنه مثل قول النابغة:

إحدى بلي وما هام الفؤاد بها *** إلا السفاه وإلا ذكره حلما

وليس فيها شاهد لمن زعم جواز قولنا : إحدى المسلمين، وأنت تعني مسلماً ومسلمة، أو إحدى المسلمين وأنت تعني مسلمة ومسلمين، ولو جاز هذا الجاز أن تقول في حمار وأتان "هذه إحدى الحمارين" ويقول إن ما تقدم من الأبيات هو على حذف المضاف كما قال الله تعالى : (فله عشر أمثالها) (الأنعام - الآية (161) فأنت لأنه أراد عشر حسنات. ولو قال هي أحد قریش أو أحد بلي لم يمتنع.

وأما الذي لابد فيه من لفظ (أحد) فما تقدم من قوله: أحد المسلمين وأنت تعني مسلماً ومسلمة، وشاهد ذلك قوله عليه السلام للمتلاعنين: ﴿أحدهما كاذب فهل من تائب﴾، ولو كانوا ثلاثة لقل "أحدهم امرأة" لأن لفظ التذكير قد شملهم فحكم الجزء إذن حكم الكل، ولاسيما إذا كان ذلك الجزء لا يتكلم به إلا مضافاً²⁷². ونرى من خلال المناظرة قوة السهيلي العلمية في الاستدلال والاحتجاج واستنباط الحكم ومقارعة الخصم.

خلاف ابن عصفور للنحاة:

الآراء التي عارض بها النحاة وصرح فيها بمخالفته للنحاة ومن ذلك:

- رفضه حسابان النحاة الميم زائدة في كلمات: هرماس، وضبارم وحلقوم، يقول ابن عصفور: "وزعم بعض النحويين أن الميم في هرماس، وضبارم وحلقوم زائدة وينبغي عندي أن تجعل الميم في هذا كله أصلية"²⁷³.
- رفضه حسابان النون أصلية بعد ألف زائدة.

رفض ابن عصفور ما يراه السيرافي في كون النون إذا جاءت في الآخر بعد ألف زائدة أصلية. ويقول: "وذهب السيرافي إلى أن النون إذا أتت في الآخر بعد ألف زائدة فإنه لا

- ينظر: المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، 253-254. ²⁷²

- ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، 1996، ط1، ص163. ²⁷³

يخلو أن يكون جعلها أصلية يؤدي إلى بناء غير موجود أو إلى بناء موجود ... وهذا الذي ذهب إليه في أصالة النون فيما يؤدي جعل النون فيه أصلية إلى بناء موجود باطل²⁷⁴.
 وخلاصة الكلام في هذه المحاضرة أنّ الخلاف بين النحاة الأندلسيين في مباحث النحو وفروعه وأحكامه أمر طبيعي يتفق مع طبيعة الثقافة المتعددة المشارب، واجتماع الرصيد النحوي والتراث اللغوي في المدرسة الأندلسية، وهذا ما لم يكن قبل في المدارس السابقة، كما شهدت هذه المدرسة اتساعا وتحررا في الدرس والتحليل، مثلما رأيناه عند ابن الطراوة، والسهيلي، والجوزلي وغيرهم. كما نلاحظ أنّ هذه المدرسة النحوية هي امتداد طبيعي للدرس النحوي في المشرق العربي، فكل النحاة الأندلسيون صدروا عما أخذوه عن المدارس النحوية السابقة، المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، والمدرسة البغدادية.

- ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، ص 173. ²⁷⁴

المحاضرة الثالثة عشرة: الاختلافات النحوية في المنظومات

تمهيد:

لقد أبدع النحاة قديما طرقا ومناهج في التأليف لتيسير النحو وتعليمه، وضبط مسأله ومصطلحاته، حتى يسهل على الطالب تعلمه. ومن هذه الطرق في التأليف طريقة المنظومات النحوية، التي ذكر التراث العربي نماذج كثيرة عنها، حيث يذكر لنا التراث العربي، أقدم منظومة نحوية وهي: المنظومة النحوية المنسوبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب هذا الفن وعبقري هذه اللغة. ثم بعد ثلاثة قرون ظهرت منظومات نحوية في المغرب الإسلامي والأندلس، وهي: ألفية ابن معطي، وألفية ابن مالك، وألفية السيوطي.

1- تعريف المنظومة:

أ- النظم في اللغة:

المنظومة على وزن مفعولة، أي: وقع عليها فعل النظم. والنظم كما جاء في مختار الصحاح: نَظَمَ اللَّوْلُو جَمْعَهُ فِي السَّكِّ وَبَابُهُ (ضَرَبَ)، نَظَمَهُ تَنْظِيماً مِثْلَهُ. وَمِنْهُ نَظَمَ الشَّعْرَ وَنَظَمَهُ. وَ(النَّظَامُ) الْخَيْطُ الَّذِي يُنْظَمُ بِهِ اللَّوْلُو. وَ (نَظَمَ) مِنْ لَوْلُو وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ. وَالْإِنْتِظَامُ الْإِتِّسَاقُ²⁷⁵.

ب- النظم في الاصطلاح:

فالمنظوم هو الكلام الذي نظم على شكل منتظم متزن وفق وزن شعري معين، كما يقول الشريف الجرجاني: "تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل"²⁷⁶.

²⁷⁵ - الرازي، زين الدين: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5/

1420هـ - 1999م، (نظم)، ص313.

²⁷⁶ - الشريف الجرجاني: التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1/ 1403هـ - 1983م.

وقال محمد التتويجي في تعريفه للمصطلح: "هو الذي ينظمه الشاعر ويضمنه معلومة أو معلومات بقصد حفظها وإدراك المعنى فيها ... وهو نوع من الشعر لا يمت إلى العاطفة والوجدان بصلة، وليس فيه من الشاعرية إلا الوزن والقافية"²⁷⁷.

وأما المنظومات في علم النحو، فمن بين تعاريفها ما ذكره الدكتور حسان عبد الله الغنيمان في كتابه "المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو": "...المنظومات النحوية نوع من الشعر التعليمي، وهو النظم الذي يهدف به ناظمه إلى تعليم الناس.. فقد فطن مصنّفو العلوم وخاصة النحو إلى أنه بالإمكان توظيف نظم الشعر وإيقاعاته في صياغة منظومات نحوية تسهم في تسهيل تعلمه، وتيسر حفظ قواعده"²⁷⁸.

نلاحظ من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أن المنظومات النحوية ومنهم من يسميها المتن العلمية، وهي عبارة تأليف منتظم الكلمات على شكل شعر، يضبط فيها الناظم العلم المراد أبوابه ومصطلحاته، والغرض من ذلك هو تسهيل حفظ قواعد النحو وأبوابه على الطلاب، وطريقة من طرائق تسييره وتسمى أيضاً: الشعر التعليمي، وإخراج الشروحات والاستطرادات والتعقيبات من المتن النحوي، فهو يحتوي فقط على المادة العلمية الضابطة لعلم النحو.

وكان من أسباب ظهور المنظومات النحوية امتناع الناس عن تعلم النحو لكثرة الاستطرادات والشروحات خاصة في العصور المتأخرة بداية من القرن الخامس الهجري، وكذلك اجتهاد النحاة في البحث عن سبيل لتسهيل تعلم النحو بأبسط وسيلة، ولما كان الإنسان يميل بطبعه إلى الإيقاع، ألف النحاة علم النحو في شكل شعر تعليمي حتى يستملحه الناس ويأخذون به. لأن الشعر أسهل للحفظ من النثر.

²⁷⁷ - محمد التتويجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/ 1998، 169/2.

²⁷⁸ - حسان بن عبد الله الغنيمان: المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو، 14.

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "... وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع من نقل كما نقله ابن مالك في كتاب التسهيل... ولربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى" ²⁷⁹.

2- أشهر المنظومات النحوية:

في هذه المحاضرة سنقف عند أشهر المنظومات النحوية التي اشتهرت، ولاقت قبولا من قبل طلاب العلم والنحو والعربية. سنذكرها ونبين منهجها من خلال التعريف المختصر بأصحابها والإشارة إلى منهجهم وأبواب هذه المنظومات ثم الوقوف عند أهم الاختلافات النحوية:

أ- ملحّة الإعراب وسنحة الآداب للحريري:

مؤلفها هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، ولد سنة 446هـ بالبصرة، ولقب بالحريري لاشتغاله بعمل الحرير وبيعه، توفي سنة 516هـ، من مؤلفاته: المقامات، ديوان شعر، وملحّة الإعراب في علم النحو ²⁸⁰.

والمشهور عند الدراسين أن هذه المنظومة هي من أوّل ما ألف في هذا النوع من الشعر التعليمي، يقول محققها عن الحريري: "وهو من أوائل من طرق هذا الفن، فلقد سبق ابن معطي وابن مالك في صياغة النحو في منظومة شعرية" ²⁸¹.

منهج الحريري في ملحّة الإعراب:

نظمها على بحر الرجز الذي تفعيلاته:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

²⁷⁹ - ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تح: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ/2005م، ص502.

²⁸⁰ - أبو المحاسن الحضرمي: تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح ملحمة الإعراب للحريري، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ/2009م، ط1، ص07.

²⁸¹ - أبو المحاسن الحضرمي: تحفة الأحباب، ص07.

وهو من أسهل البحور على النظم والأبيات على هذا النحو تسمى أرجوزة . فهو أوفى بحور الشعر نغماً وأكثرها مطاوعة في تفاعيله للزحافات والعلل، بالإضافة إلى أن المشطور منه يسقط فيه الالتزام بقيد القافية، وأصحاب المطولات بحاجة إلى هذا أكثر من أصحاب المنظومات القصيرة، والسمة الغالبة في المنظومات التي قُصِدَ بها جمعُ شَتَات العلم أن تكون طويلة .

احتوت المنظومة ثلاثمائة وثمانية وسبعين بيتاً (378) يضاف إليها أبيات الخاتمة وعددها ثلاثة عشر بيتاً فيصبح عدد أبياتها الإجمالي أربعمئة بيتٍ وبيتاً واحداً (401). ويظهر في المنظومة أن الحريري يتمذهب بـ مذهب البصريين في مصطلحاتهم ومنهجهم ومن ذلك: استعمال مصطلح (فعل الأمر) ومصطلح (المضارع) وهذان الاصطلاحان للبصريين والكوفيون يسمون الأمر (المنقطع) والمضارع (المستقبل) . وغيرها من المصطلحات النحوية البصرية.

يقول الحريري:

"وإن أردتَ قِسْمَةَ الأَفْعَالِ لِيَنْجَلِيَ عَنْكَ صَدَا الإِشْكَالِ
فَهِيَ ثَلَاثٌ مَا لَهُنَّ رَابِعٌ ماضٍ وَفِعْلُ الأَمْرِ وَالمُضَارِعُ"²⁸².

للحريري بعض المصطلحات الخاصة ومنها: المفرد عنده (الفريد) يقول:

وَنَوْنُ الأِسْمِ الفَرِيدِ المُنْصَرَفُ إِذَا دَرَجْتَ قَائِلاً وَلَمْ تَقِفْ .

ويرى كلك أن المصدر هو الأصل في الاشتقاق والفعل مشتق منه وهذا مذهب

البصريين، وأمّا الكوفيون فيرون العكس الفعل أصلاً والمصدر فرعاً.

يقول الحريري:

والمصدرُ الأَصْلُ وأَيُّ أَصْلٍ ومنهُ يَا صَاحِ اشْتِقَاقُ الفِعْلِ .

²⁸² - أبو المحاسن الحضرمي : تحفة الأحياب، ص22

كما أن بعض الأبواب لم يذكرها ملحته منها: باب المبتدأ والخبر وما يتبعهما من أبواب كمسوغات الابتداء بالنكرة والتقديم والتأخير، والتنازع. أبواب هذه المنظومة:

بدأ الحريري مقدمة حمد الله تعالى فيها، وسلم على النبي وآله بقوله:

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول
وبعده فأفضل السَّلام على النبي سيد الأنام

ومن الأبواب التي نظمها في منظومته: باب حدّ الكلام، باب الاسم، باب الفعل، باب الحرف، باب المعرفة والنكرة، باب قسمة الأفعال، باب فعل الامر، باب الفعل المضارع، باب الإعراب، ثم ختم المنظومة باب الشرط وباب المبنيات. وأما الخاتمة فكانت أبياتاً تحتوي على النصيح والإرشاد أكد فيها أن علوم العربية كلها وتلاوة القرآن الكريم وفهمه مناطه علم النحو يقول:

إن شئت نيلَ العلم والآداب وبراعةً في فهم كل كتاب
وتلاوةَ القرآن حقّ تلاوةٍ لفظاً وتفسيراً وفصلَ خطابٍ
وقراءةِ السنن المنيرة تابعاً آثارها متوخياً لصواب
وبلوغِ غايات البلاغة عارفاً بمواقع الإيجاز والإطناب
فابدأ بعلم النحو فهو أساسها لا يمتري في ذا أولو الألباب²⁸³.

ب- الدرة الألفية (ألفية ابن معطي):

مؤلفها هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي، ولد سنة 564هـ، وتوفي سنة 628هـ.

جاء في تحقيق هذه الألفية: "تعد الدرة الألفية في علم العربية من أشهر مؤلفات ابن معطي لأنها أول منظومة نحوية في ألف بيت"²⁸⁴.

²⁸³ - الحضرمي: تحفة الأحاب، ص173.

²⁸⁴ - ابن معطي الزواوي: الدرة الألفية، تح: سليمان البلكي، دار الفضيلة، مصر، 2010م، ط1، ص13.

بدأ ابن معطٍ بحمد الله ثم الصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه -

يقول: يقول راجي ربه الغفور
يحیی بن معطي بن عبد النور
الحمد لله الذي هدانا
بأحمد ديناً له ارتضانا
إلى أن يقول: صلى عليه الله ثم سلماً
وآله وصحبه وكرماً
ثم يبدأ بباب الكلام والكلم، ثم علامات الاسم والفعل والحرف ثم يأتي على الأبواب كلها، وختمها ببابي الإبدال والإدغام، وباب الضرورات الشعرية²⁸⁵.
منهج ناظمها:

نظم ابن معطي ألفيته على بحرین هما: بحر الرجز وتفعيلاته هي:
مستفعلن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن مستفعلن
وعلى بحر السريع وتفعيلاته:

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلن
وقد بين هذا في ألفيته حيث قال:

وذا حدا إخوان صدق لي على *** أن اقتضوا مني لهم أن أجعلا
أرجوزة وجيزة في النحو *** عدتها ألف خلّت من حشو
لعلمهم بأن حفظ النظم *** وفق الذكي والبعيد الفهم
لا سيما مشطُور بحر الرجز *** إذا بني على ازدواج موجز
مُردّوج الشطُور كالتصريح *** أو ما يضاهيه من السريع²⁸⁶

ومما يدل على أن المنظومات العلمية سواء كانت في علم النحو أو الصرف أو الفقه أو القراءات أنها تخلو من الحشو، أي: من أي زيادة كانت سواء شرح أو شواهد إلا ما

²⁸⁵ - ينظر: ابن معطي: الدرة الألفية، ضبطها: سليمان إبراهيم البلکیمی، دار الفضيلة- القاهرة، ط1/2010، ص17، فما بعدها

²⁸⁶ - المصدر السابق، ص17.

اضطر إليه أو استطراد غير ذلك مما يُخل بنظام المنظومة التي يجب أن تحتوي على لب العلم وصلبه وخرزاته ولآلئه. وقد بيّن ابن معط هذا المفهوم في البيتين الثاني والثالث.

أما طريقة نظمها فقد ابتدع ابن معطي طريقة لم يسبق إليها في نظم المتن حيث نظمها على بحرین متقاربين هما بحر الرجز، وبحر السريع وكثيرا ما يتداخلان في نظم القصائد. عادة ناظمي القصائد العلمية أن يصوغوا قواعدهم على قصيدة من بحر وأحد وقافية واحدة، أو أرجوزة مختلفة القوائى من بحر الرجز، وهذا الشكل الأخير هو الغالب على المنظومات العلمية، لكن ابن معطى حين صنف ألفيته اختار شكلاً لم يسبق إليه، ولم تسلكها العرب²⁸⁷. وقد بلغ عدد أبيات هذه المنظومة ألفاً وواحدًا وعشرين بيتًا (1021).

ويمكن أن نختصر منهج ابن معط في هذه المنظومة في أربعة محاور:

1- آراؤه النحوية:

أ- من ذلك رفضه تقديم خبر "ما دام" على اسمها دون غيرها. في قوله:

ولا يجوز أن تقدم الخبر على اسم مادام و جاز في الآخر

وقد أجمع أئمة النحاة بعد ابن معطى على تخطئته في هذا الرأي، وردوا عليه بأنه مخالف للنصوص، وللقياس، كسائر أخوات (مادام). فقد تقدم خبر (كان) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47) وَخَبِرُ (ليس) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: 177). ثم استدلوا على تقدم خبر (مادام) بقول الشاعر:

لا طيب للعيش ما دامت مُنْفَصَّةٌ *** لذاته بادكارِ المَوْتِ والهَرَمِ²⁸⁸

ب- علل ابن معطى بناء أسماء الإشارات بشبهها للحرف. قال ابن إياز: "وتعليه بناءها بشبهها للحرف، غريب، لم أر أحداً ذكره غيره". وقد نقل السيوطي كلام ابن إياز هذا ولم يعلق عليه²⁸⁹.

²⁸⁷ - ابن معطي الزواوي: الفصول الخمسون، ص34.

²⁸⁸ - المصدر السابق، ص57.

ج- ذهب ابن معطى إلى جواز حذف (ما) النافية في جواب القسم إذا كان منفيًا بلا . قال في الألفية:

وإن أتى الجواب منفيًا بلا *** أو ما كقولي: والسما ما فعلا

فإنه يجوزُ حَذْفُ الحَرْفِ *** إذ أُمِنُوا الإلباسَ حالَ الحَذْفِ

كقوله : تالله تفتأ حذف *** (لا) منه أى لا تفتأ المعنى عُرِفَ

قال ابن الخباز: وما رأيت في كتب النحو إلا حَذَفَ (لا) وقد ذكر يحيى حذف (ما)، وقال لى شيخنا رحمه الله: لا يجوز، لأن التصرف في (لا) أكثر من التصرف في (ما) . انتهى كلام ابن الخباز، وقد حكاه ابن هشام والسيوطي²⁹⁰.

ج- ألفية محمد بن مالك:

نظمها محمد بن مالك الجبالي الأندلسي، ولد سنة 600هـ، وتوفي سنة 672هـ.

فالألفية هي منظومة نحوية على بحر الزجر في علم النحو العربي نظمها ابن مالك لطلاب النحو، وسماها (الخلاصة)، وكان قد نظم قبلها منظومة (الكافية الشافية) في أكثر من ألفي بيت.

يقول الدكتور محمد المختار ولد أباه: "...كان أول ما كتب منها الكافية الشافية وهي موسوعة شاملة للمعلومات التي جمعها من دراسته الواسعة، وقد نظمها في ألفين وسبعمئة وخمسين بيتاً ونيف"²⁹¹.

غير أن الشهرة والقبول والانتشار كتبها الله تعالى للخلاصة، إذ أقبل عليها طلاب

النحو في مختلف العصور وشرحها كثير من النحاة.

استهل ابن مالك "الألفية" بحمد الله تعالى والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم والسلام - على آله، ذاكراً أن ألفيته تفوق ألفية ابن معطى في الاختصار والوضوح لكنه اعترف له بالسبق إلى النظم.

²⁸⁹ - ينظر: المصدر السابق، ص 61.

²⁹⁰ - ينظر: المصدر السابق، ص 60.

²⁹¹ - المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي، ص 314.

يقول ابن مالك:

قال مُحَمَّدٌ هو ابنُ مالكٍ أحمدُ ربِّي الله خيرَ مالكٍ
مُصَلِّياً على النَّبِيِّ المصطفى وآله المُستكملين الشُّرفا
وأستعينُ الله في ألفية مقاصدُ النَّحْوِ بها مَحْوِيَّة
تُقَرَّبُ الأقصى بلفظٍ مُوجَزٍ وتَبَسُّطُ البَدَلِ بوعِدٍ مُنَجَزِ
وتقتضي رضًى بغيرِ سُخْطٍ فائقةً ألفيةَ ابنِ مُعْطٍ
وهو بِسَبْقٍ حائِزٌ تفضيلاً مستوجبٌ ثنائِي الجميلا
والله يقضي بهباتٍ وإفِرَةً لي وله في درجاتِ الآخِرَةِ²⁹².

وبعد هذا الاستهلال شرع في نظم أبواب النحو، بدأ بباب الكلام وما يتألف منه، ثم باب المعرب والمبني، فباب النكرة والمعرفة ثم مضى في باقي الأبواب وختم بباب الحذف وباب الإدغام.

شراحها:

- نالت الألفية شهرة عظيمة في أوساط العلماء وطلاب العلم في شتى الفنون الشرعية واللغوية، وأقبل عليها الدارسون، وتعرض لها كثير من النحاة بالشرح ومن أشرح شروحها:
- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك لابن هشام (مطبوع).
 - شرح الألفية لبدر الدين بن محمد بن مالك ويعرف هذا الشرح بـ(شرح ابن الناظم) مطبوع.
 - شرح ألفية ابن مالك لعبد الرحمن المكودي (مطبوع).
- ومن الشروح الحديثة:
- دروس في شرح الألفية للدكتور عبده الراجحي (مطبوع).
- منهجها وبعض من آراء ناظمها:**

²⁹² - ابن مالك: متن الألفية، دار المعرفة، المغرب، 2011، د ط، ص 01.

نظمها كلها على بحر الرجز بعبارات واضحة دقيقة تسهلاً للحفظ، يقول الدكتور "إميل بديع يعقوب" في تعليقه على شرح الأشموني: "وأبيات الألفية كلها من كامل الرجز وتمتاز عباراتها بالركة والدقة والإيجاز في صياغة الأحكام ولذلك يسهل حفظها"²⁹³.

وقد تحرر ابن مالك في ألفيته من قيود التعصب المذهبي، فمنهجه العام في التحرر من القيود المذهبية ... فكان عملاً وسطاً قريب المأخذ سهل التناول تجنب غموض أبنية سيبويه، وافتراضات المبرّد، وتفرعات أبي علي الفارسي، وفلسفة الرماني، وتنظيرات ابن جني وتحاليل السهيلي وتقنين أبي موسى الجزولي"²⁹⁴.

بعض أوجه الاختلافات النحوية في المنظومات الثلاث:

ونجمل بعضاً من الاختلافات النحوية التي ذكرناها عن هذه المنظومات الثلاث:

- اعتمد أصحابها فيها على آراء البصريين ومصطلحاتهم وكانت له م مصطلحات نحوية خاصة به.

- كانت منظومة الحريري ناقصة في تناول أبواب، ومنها: الابتداء وباب التنازع في العمل.

- أما منظومة الدر الألفية لابن معطي فكانت أول منظومة فاقت ألف بيت كانت لابن معط واستعمل فيها بحرین هما الرجز والسريع. وتميزت منظومته باعتماد آراء خاصة بصاحبها وموافقة آراء البصريين أحياناً والكوفيين أخرى والبغداديين مرات.

- أشهر المنظومات النحوية وأعظمها قيمة، وأتمها تأليفاً، وأكملها ترتيباً وتنظيماً هي ألفية ابن مالك المعروفة بـ(الخلاصة) نظمها على بحر الرجز. ضمت أبواب النحو والصرف، فقد كان متحرراً من التعصب المذهبي يذكر آراءه وآراء غيره.

- الفرق بين ألفية ابن معطي وألفية ابن مالك هو أنّ ابن مالك قد أفاد من ابن معطي في المنهج العام، من حيث سرد القواعد واستخدام المناسبة والاستطراد وارتباط اللاحق بالسابق، وقد نبّه إلى هذه الإفادة محقق "التسهيل" لابن مالك، لكن في الحق أن ابن مالك، لإمامته

²⁹³ - شرح الأشموني، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ط1، ج1، ص10.

²⁹⁴ - ينظر: محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي، ص387.

وطول اشتغاله بالنحو - يمتاز بتشقيق المسائل وتفصيلها في أبواب، على حين نرى ابن معطى يدمج المسائل الكثيرة تحت الباب الواحد، ولا ينبغي في مجال المقارنة أن ننسى السن التي كتب فيها ابن معطى ألفيته، فقد ذكر في ختامها أنه انتهى منها سنة 595هـ، وهو في الواحد والثلاثين من عمره، وهي سنّ طراءة وصبا، على حين نرى ألفية ابن مالك تلخيصاً لموسوعته.²⁹⁵ وبالتالي يكون ابن معطى قد فتح الباب واسعاً أمام ابن مالك منهج التأليف وتفصيل المسائل، واستعمال المصطلحات وترتيبها في أبوابها واستخدام القافية نفسها.

وخلاصة المحاضرة هو أنّ المنظومات النحوية ظهرت منذ القرن الثالث الهجري متمثلة في المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي، كما يذكر محققها أحمد عفيفي ثم بعد ثلاث قرون ظهرت المنظومات النحوية وأشهرها ثلاث منظومات ظهرت كلها في إقليم واحد وهو المغرب الإسلامي، وكانت هذه المنظومات قد سدّت حاجة العلماء وطلبة العلم في تسهيل تعلم النحو على شكل قصائد شعرية، تضم المادة العلمية المضبوطة والتامة دون استطرادات أو شروحات أو تعقبات، حتى يسهل تعلمها.

²⁹⁵ - ينظر : ابن معطى: الفصول الأربعون، ص44.

المحاضرة الرابعة عشرة الاختلافات النحوية في المتن 1

تمهيد:

لقد تعدد طرق التأليف عند العلماء في علوم العربية والشريعة على السواء، بحسب ما تقتضيه المناسبات والمقامات، فنجدهم تارة يختصرون ويوجزن ويجملون، وتارة يطنبون ويفصلون شرحا وتحليلا ومقارنة وتعقيبا. ومن طرق التأليف التي راجت في أواخر القرن السادس والسابع وحتى الثامن الهجريين طريقة المتن العلمية التي تماشت مع المنظومات العلمية.

لقد كانت الحاجة إلى المتن والمنظومات العلمية ملحة جدا خلال هذه الفترة التي كثرت فيها المصنفات النحوية الكثيرة التي أشبعت شرحا وتعليلا وإطنابا واستطرادا. لذلك يُعدُّ هذا الاتجاه التألفي غاية في الابتكار ومقصدا رائعا في الإبداع لما يمتاز به من تيسير وتسهيل على طالب العلم في الأخذ والطلب.

فقد تناولنا في المحاضرة السابقة المنظومات النحوية واختلافاتها، وفي هذه المحاضرة سنتطرق إلى المتن النحوية، ويظهر جليا أنَّ كلا المصطلحين يختلف عن الآخر، وأنَّ بينهما فرق.

تعريف المتن العلمية:

لغة: قال ابن فارس: "الميم والتاء والنون أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على صلابَةٍ في الشَّيء مع امتدادٍ وطول. منه المَثَنُ: ما صَلَّبَ من الأرض وارتَفَعَ وانقاد"²⁹⁶ جاء في لسان العرب: ".. ومتن كل شيء ما ظهر منه والجمع متون ومتان"²⁹⁷. ومعنى هذا أن مادة الشيء الذي يتكون منه، ويقام بها صلبه هو متنه، وعليه نقول: متن الكتاب نصّه ومادته، كما يستعمل هذا اللفظ للدلالة على معنى القوة والمتانة.

²⁹⁶ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، صورتها دار الجيل، ودار الفكر، بيروت، ط 2 / (1389هـ - 1392هـ)، (1969م - 1972م)، مادة: متن، 294/5.

²⁹⁷ - ابن منظور: لسان العرب، باب الميم، 17/13.

اصطلاحاً: المتن هو الكتاب الأصلي الذي يكتب فيه أصول المسائل. وهو عند أهل العلم يطلق على مبادئ فن جمعت في رسائل صغيرة خالية من التفصيل والشواهد إلا في حدود الضرورة²⁹⁸.

وعرف صاحب "قصد السبيل بأنه: "الكتاب الأصلي الذي يكتب فيه أصول المسائل، ويقابله الشرح .. وإنما هو مما نقله العرف تشبيهاً له بظاهر الظهر الذي هو معنى المتن الأصلي في القوة والاعتماد عليه²⁹⁹.

وعلى هذا أطلق العلماء مصطلح (المتن) ليدل على أنه عبارة نصّ تضمّن مبادئ وأسس وقواعد فن من الفنون العلمية تكون مكثفة ومركزة بحيث تحتوي على المادة العلمية الخالصة الخالية من الاستطراد أو التفصيل كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة، لذلك فإنّ المتن الأقل ألفاظاً هي الأكثر قبولاً عند الدارسين.

2- أقسام المتن: تنقسم المتن إلى قسمين:

أ- متون منثورة: وهي التي تكون على شكل نثر أو منثور، وهي الأكثر تأليفاً بين العلماء لسهولة التأليف بها، لعدم تقيد الناثر بأي وزن أو قافية أو تفعيلية.

ب- متون منظومة: وهي التي تنظم في شكل أبيات من الشعر يسمى الشعر التعليمي، وتكون غالباً من بحر الرجز، وقد تكون من غيره. والرجز بحر معروف من بحور الشعر، وتسمى قصائده الأراجيز واحدها أرجوزة ويسمى قائله راجزاً. وقد سُمّي الرجز رجزاً لأنه

²⁹⁸ - محمد عبد القادر الصديق علي: المتن النحوية ووظيفتها التعليمية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مج 20، ع01، 2019، ص213.

²⁹⁹ - عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم : الدليل إلى المتن العلمية ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1/ 1420هـ - 2000م، ص66.

تتوالى فيه حركة وسكون، ثم حركة وسكون، وهو يشبه في هذا بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن، ثم تتحرك وتسكن. ويقال لها حينئذٍ رجاء.

والرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام، وكتاب لسانهم، وخزانة أنسابهم وأحسابهم. وهذا النوع من النظم "الشعر التعليم" نظم علمي يخلو من العواطف، والأخيلة، ويقتصر على الأفكار، والمعلومات، والحقائق العلمية المجردة³⁰⁰.

1- كتاب: (الفصول الخمسون) لابن معط

صاحب هذا المتن العلمي هو: يحيى بن معط الزواوي وقد سبق التعريف به من قبل في المحاضرة الثانية عشر.

أ- التعريف بالكتاب:

كتاب "الفصول الخمسون" ألفه ابن معط نثرًا لا نظمًا، يقصد به تعليم النحو للطلاب وتسهيله لهم، وسماه بالفصول لأنه جعل لكل باب من أبوابه فُصولاً خاصة به. ويقول محققه محمود محمد الطناحي: "... ورأيت أن الفصول كتاب تعليمي سلك فيه ابن معطي مسلكاً لعله أول من استحدثه إذ قسم رؤوس المسائل إلى أبواب وتحت كل باب عدة فصول"³⁰¹.

ب- وصف الكتاب:

يذكر ابن معطي أنه حصر الإعراب في خمسين فصلاً يجمُلها في خمسة أبواب، يقول في مقدمة كتابه: "أما بعدُ فإن غرض المبتدئ الراغب في علم الإعراب حصرت في خمسين فصلاً يشتمل على خمسة أبواب"³⁰².

وأما أبوابه فهي كالتالي:

³⁰⁰ - ينظر: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم: الدليل إلى المتن العلمية، ص 67-68.

³⁰¹ - ابن معطي الزواوي: الفصول الخمسون، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ت، د ط)، ص 08.

³⁰² - ابن معطي الزواوي: الفصول الخمسون، ص 68.

- الباب الأول: في مقدمة هذا الفن من الأصول.
- الباب الثاني: أقسام الفعل.
- الباب الثالث: ما يعمل من غير الأفعال في الأسماء والأفعال.
- الباب الرابع: النكرة والمعرفة وذكر التوابع.
- الباب الخامس: فصول متفرقة³⁰³.

ج- أهمية كتاب الفصول:

لقد كان لابن معط فضل الريادة في هذا النوع الميسر المنظم من التأليف، حين صنف كتابيه: "الألفية" و"الفصول"، فقد سلك ابن معطى فيها مسلك التيسير والتدليل وخلو تعريفاته من الحشو. وقد كان لاشتغاله بالأدب؛ دَرساً وتصنيفاً، أثر في سهولة عباراته، وصحة تقسيماته. وعلى منهج خطواته سار ابن الحاجب وابن مالك، لكن هذين أخملاً ذكر الرجل، كما أخل من قبل أبو على الفارسي وتلميذه ابن جني ذكر أبي القاسم الزجاجي³⁰⁴. فكتاب الفصول الخمسون تكمن أهميته في أنه كتاب تعليمي، وأنه مختصر أحاط بغالب المسائل وكبرى الأبواب والفصول، إضافة إلى أسلوبه السهل السلس العذب.

د- منهج ابن معطى في عرض مسائل النحو:

اتبع ابن معطى منهجا خاصا في عرض المسائل النحوية ومعالجتها فلم يقف عند حدّ إيراد القواعد وسردها، بل هو كثيرا ما يعرض الآراء ويناقشها، ويرجح ما بينها، على الرغم من أنه صرح أن كتابه تعليمي للمبتدئين، وقد يعلل لما يذكره من قواعد، فحين ذكر ما تبنى عليه الكلمة، قال: "وهو إما سكون، وهو الأصل، ولا يُعَلَّل، وإما حركة، فيقال: لم حُرِّك؟ والجواب: إمّا لأن الكلمة لها أصل في التمكن، نحو: أول، أو لالتقاء الساكنين، نحو: أمس، أو لأنها على حرف واحد، نحو: الباء واللام، في: يزيد ويزيد، أو للتشبيه بالمعرب، نحو: ضَرَبَ، ولا يخلو من أن تكون الحركة ضمة أو فتحة أو كسرة، فيقال: لم خُص

³⁰³- ابن معطى: الفصول الخمسون، ص94.

³⁰⁴- المصدر نفسه، ص89.

بأحدها؟ فالكسر على أصل التقاء الساكنين غالباً، لأنها حركة لا تُوهم إعراباً، والضم إما لانقطاع الكلمة عن الإضافة، أو للتشبيه بما قطع عن الإضافة، أو للإتباع، والفتحة طلباً للتخفيف غالباً، أو للفرق بين مشتبهين، كلام الابتداء والإضافة³⁰⁵. فمنهجه يسير على عرض المسائل ومناقشتها، والترجيح بينها وهذا منهج علمي يناسب المتقدمين من طلاب العلم أكثر من المبتدئين، لكن هذا المنهج ليس معقداً فهو بسيك لا حشو فيه ولا تطويل.

هـ - من آراء ابن معطي النحوية في كتاب الفصول:

لابن معطي آراء نحوية كثيرة انفرد بها في كتابه الفصول الخمسون، نذكر منها نتقا ليدرك المتعلم شخصية ابن معطي الزواوي العلمية، منها:

- منعه تقدم خبر "مادام" على اسمها. يقول: "وأما "مادام" فلا يجوز تقدم خبرها عليها ولا على اسمها"³⁰⁶.

- يميل ابن معطي إلى استعمال المصطلح البصري في أكثر أبواب الكتاب وفصوله وأحياناً قليلة يستعمل بعض المصطلحات الكوفية مثل مصطلح (الجد) الذي يقابل عند البصريين مصطلح (النفى). وفي هذا يقول محمود الطناحي محقق كتاب الفصول: "تبدو بصرية ابن معطي كثيراً في إثارة لمصطلحات البصريين مثل استعماله "الجر" الذي يسميه الكوفيون (الخفض)... على أن ابن معطي قد يستعمل أحياناً المصطلح الكوفي ... (الجد) وهو استعمال كوفي (النفى)"³⁰⁷.

- ذكر ابن معطي في حدّ الاسم من أنّه كلمة تدل على معنى في نفسها، دلالة مجردة من زمان ذلك المعنى، كرجل وعلم". واستعماله لفظة (كلمة) أحسن من استعمال الزمخشري وابن الحاجب لفظة (ما) حين قالوا: "الاسم ما دل على معنى" وذلك لأن (ما) عام يشتمل على الدال، سواء كان لفظاً أو غير لفظ، كالكتابة والإشارة وعقد الأصابع³⁰⁸

³⁰⁵- ينظر: ابن معطي: الفصول، ص97

³⁰⁶- المصدر السابق، ص54.

³⁰⁷- المصدر السابق، ص80.

³⁰⁸- ينظر: المصدر نفسه، ص100

2- كتاب شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك:

صاحب هذا الكتاب هو محمد بن مالك الجباني الأندلسي ، وقد سبق ترجمته في المحاضرة الثانية عشر.

أ- التعريف بالكتاب:

كتب محمد بن مالك كتابه "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" على طريقة النثر لا النظم خلافا لما فعله في أرجوزتيه: الكافية الشافية والخلاصة، وكما نرى من خلال العنوان فإن هدفه من وراء تأليفه هو تسهيل النحو للطلاب وتقريب مقاصده وأبوابه من هؤلاء الطلاب، فقصد التيسير والتسهيل عند ابن مالك أمر ظاهر بين لا يخفى، فلم يكتف بتصنيف هذا الكتاب بل شفعه بشرحه له إذ ألف شرحه بعنوان شرح التسهيل. يقول ابن مالك: "وأما بعد، فإن بعض الفضلاء سألني أن أشفع كتابي المسمى بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد بكتب تشتمل على ما خفي من مسائله ... وعمدت إلى تحصيل ما نبه عليه لأن المتلمس بعون الله هين، وبإسعاف ذوي الأهلية متعين، والله المرجو لانقياد الحقائق، وإبعاد العوائق، لا اقتدار إلا بتقديره، ولا استبصار إلا بتبصيره، والله يحق الحق وهي يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل"³⁰⁹.

وقد ضمّ هذا الشرح في أربعة أجزاء حسب الطبعة التي بين أيدينا من المكتبة الشاملة.

ب- محتوى كتاب شرح التسهيل:

تضمن كتاب شرح التسهيل لابن مالك أبواب النحو كلّها، حيث بدأ بباب شرح الكلمة والكلام وما يتعلق به، ثم علامات الأسماء، ثم علامات الأفعال، ثم أتى على

³⁰⁹ ابن مالك الطائي الجباني أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله : شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1/ 1410 هـ- 1990م، 03/1

الأبواب كلّها ، ليختتم الكتاب في الجزء الثالث بباب عوامل الجزم ، ثم باب تنميط الكلام على كلمات مفتقرة إلى ذلك ، ثم (هل) و(بل) ، ثم حروف التحضيض ، وها ويا .

ج- منهج ابن مالك في شرح التسهيل وبعض آرائه في التسهيل:

لقد بنى ابن مالك متن كتابه على محورين: أما المحور الأول: النص الأصلي وقد رمز له بالرمز (ص)، بحيث يورد النص كما في كتابه تسهيل الفوائد الذي يعتبر أصل كتاب شرح التسهيل ومادته التي يدور حولها ابن مالك. وأما المحور الثاني: فقد رمز له ابن مالك بالرمز (ش)، والتي تعني: شرح، بحيث يقوم ابن مالك بشرح وتحليل متن كتاب التسهيل، بشيء من البسط. مثال على ذلك:

يقول: "(ص) الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقاً أو تقديرًا، أو منويّ معه كذلك وهي اسم فعل وحرف". (ش): الكلمة في اللغة عبارة عن كلام تام كقوله تعالى " وكلمة الله هي العليا " وكقوله عليه السلام " الكلمة الطيبة صدقة "، وعن اسم وحده، أو فعل وحده، أو حرف وحده. وهذا هو المصطلح عليه في النحو، وإياه قصد من تعرض لحد الكلمة³¹⁰. ثم يزيد شرح المتن بسطا وتوسعة ويأتي بالشواهد من كلام أوائل النحاة من أمثال سيبويه والخليل وغيرهم بما يستدل به شرح كلمة من المتن، مثلما فعل في شرح كلمة (الكلمة) و(اللفظ) وغيرها مما يعتبر من مصطلحات النحو التي تأخذ معنى يتعلق بعلم النحو وموضوعه.

ومن منهج ابن مالك في شرح التسهيل أنه يدعم كلامه بآراء القدامى من النحاة من أمثال سيبويه، الذي استشهد بكلامه ليستدل به في شرحه لكلمة (اللفظ)، حيث قال: " كقول سيبويه في الباب الذي ترجمته : هذا باب اللفظ للمعاني : ثم يورد كلام سيبويه في ذلك: "واعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين " ثم قال: "فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب³¹¹".

³¹⁰ - ابن مالك: شرح التسهيل، 03/1.

³¹¹ - المصدر السابق، 04/1.

ويعززه بالشواهد من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن الشعر العربي؛ وهذا ما يتميز به ابن مالك فإنه من النحاة الذين يجيزون الاستشهاد بالحديث النبوي على خلاف بعض النحاة المتقدمين الذي يرفضون الاستشهاد بالحديث النبوي لجواز روايته بالمعنى، ومن ذلك استشهاده على المعرب إعراب المثني وهو في المعنى جمع، فقد استشهد أولاً بالقرآن الكريم، ثم بالحديث النبوي الشريف، ثم ببيت شعري. يقول: "ومن المعرب كمتنى وهو في المعنى جمع قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات:10). وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا». ومنه قول الشاعر:

تلقى الإوزون في أكناف دارتها *** تمشى وبين يديها البرّ منثور

أراد بين أيديها³¹²

يهيل ابن مالك في مؤلفاته كلها إلى المدرسة البصرية في منهجها عامة وفي استخدام المصطلح النحوي للبصريين خاصة. فلقد استعمل (الأمر) و (المضارع) في الأفعال وهما مصطلحان بصريان، يقول: "وأقسامه: ماضٍ، وأمر، ومضارع"³¹³ كما أن ابن مالك يعتبر أول من أسس الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، إذ أنكر عليه ابن الضائع فعله هذا، وهو أول من أثار هذه القضية التي كانت مندرسة في ثنايا الكتب. إذ يعتبر أنّ الحديث النبوي الشريف من الكلام الفصيح، وأما قولهم بأن الأعاجم روته وبألفاظ مختلفة فهذه حجة ضعيفة، لأن رواية الحديث الذين نقلوا الحديث إنما كانوا عرباً خلصا من القرون الثلاثة الأولى التي يحتج بها كما أنّ قواعد علم الحديث وضوابطه تأبى ذلك، إذ يخضع رواية الحديث إلى ضوابط صارمة في قبول الحديث النبوي الشريف، منها: العدالة والثقة والحفظ والضبط.

وفي ذلك يكون ابن مالك قد توسع في السماع وخالف النحاة البصريين. يقول محمد المختار ولد اباه: "إن من أهم ما استحدثه ابن مالك في النحو توسيع دائرة السماع باعتماده

³¹² - ابن مالك: شرح التسهيل، 65/1.

³¹³ - ينظر: المصدر السابق، 14/1.

على لغة الحديث الشريف. وهو عمل لم يسبق إليه، وفي هذا المجال أضاف ابن مالك إلى النحو أساساً جديداً، مثل ما فعل الكوفيون في اعتبارهم للغات لم يأخذها البصريون في الحسبان. ولم يكن عمل ابن مالك هذا تقريراً اعتباطياً، لأنه برهن على أن جميع الصيغ الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة لها شواهد من أشعار العرب الذين أجمع النحويون على الاستشهاد بهم، وكأنه بهذا يرد على أولئك الذين جاؤوا من بعده ينكرون عليه الاستشهاد بالحديث بذريعة جواز روايته بالمعنى، ويكون أكثر رواته من الأعاجم. وفي كتابه المسمى بالتوضيح والتصحيح الشواهد الجامع الصحيح رد علمي وعملي على المخالفين في صحة عربية مختلف روايات الحديث³¹⁴. وبهذا يكون ابن مالك قد شيد صرح النحو العربي بإضافة لبنة عظيمة من لبنات الشاهد العربي الفصيح وهو الحديث النبوي الشريف الذي يمت بالصلة المباشرة بسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

³¹⁴ - محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 316

المحاضرة الخامسة عشر: الاختلافات النحوية في المتن 2

1- متن الأجرومية:

أ- التعريف بابن أجروم:

مؤلف هذا المتن العظيم النفع والفائدة هو ابن أجروم الصنهاجي، ولد سنة 672هـ وهي السنة التي توفي فيها ابن مالك الطائي والمتوفي سنة 723هـ، وقد سبقت ترجمته في المحاضرة الثانية عشر.

يقول المختار ولد أباه: "في السنة التي ودع فيها ابن مالك الحياة، ولد أبو عبد الله محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجروم النحوي المقرئ"³¹⁵.

لم تكن الأجرومية منافسة لألفية ابن مالك، وإنما كانت بمثابة "ابنة" لها تسير إلى جنبها. كانت البنت تتحدث إلى الصغار في الكتابات وتعين المربين والريائيين على تعليم الناشئة بصغار العلم، وبعد مرحلة الكتاب، فما عليهم إلا أن يتابعوا دراسة النحو في الخلاصة، وإذا ما سلكوا طريقاً آخر، فإن الأجرومية قدمت من هذا الفن ما لا يسع جهله، لأنها شملت ما يعرف من النحو ضرورة لجميع الدارسين.

ب- التعريف بمتن الأجرومية وأهميته العلمية:

هو كتاب صاغه ابن أجروم نثرًا اختصر فيه أهم أبواب علم النحو، وعلى صغر حجمه فقد كتب له القبول بين الطلبة وخاصة في الزوايا والمدارس القرآنية. يقول الدكتور محمد المختار ولد أباه: "ألف هذا العالم مقدمة صغيرة لا تتجاوز عدة صفحات، ولكن كتب لها بأن تعم الخافقين، وأن تتال من الشهرة والذيع ما نالته خلاصة ابن مالك"³¹⁶. فقد بلغ متن الأجرومية الصغرى الحجم المعداد الصفحات مبلغاً طارت به الركبان كما يقال لمن شاع وذاع واشتهر وانتشر. ولعل السبب في ذلك يكمن في صغر الحجم وأنها مناسبة للمبتدئ والمتمكن، والأسلوب الذي كتبت به. فقد كانت بمثابة البنت

³¹⁵ - المختار وأباه: تاريخ النحو العربي، ص 379

³¹⁶ - المرجع نفسه، ص 379.

بالنسبة إلى خلاصة وتسهيل ابن مالك. ومما زادها شهرة اعتمادها كمتن يدرس في المدارس والزوايا. وهذا ما زادها شهرة وذبوعا. كما أنها تعتبر العتبة الأولى لطلب علم النحو وأنها أبسط المتون العلمية التي يتدرج بها في حفظ المتون وإتقانها. يقول المختار ولد أباه: "لم تبرز مقدمة ابن آجروم إلى الوجود حتى صارت هي الكتاب المدرسي الأول في المرحلة الابتدائية، وبذلك حلت محلّ المقدمات التي في مستواها مثل النموذج للزمخشري وملحة الحريري ولمع ابن جني، شأنها في ذلك شأن الخلاصة التي نسخت جمل الزجاجي وإيضاح أبي علي الفارسي، ثم صارت أساساً في المناهج التربوية تناولها العلماء بالشرح والنظم والتعليق"³¹⁷.

ج- شرح متن الآجرومية:

من أشهر شراحها خالد الأزهري وعلي بن ميمون الشريف الحسني وأحمد بن محمد بن يوسف بن دقون الصنهاجي³¹⁸.

كما نقلها إلى قصيدة شعرية شرف الدين يحيى بن نور الدين بن موسى بن عميرة العمريطي، سمّاها الدرة البهية في نظم الآجرومية يقول في مقدمتها:

وبعد فاعلم أنه لما اقتصر *** جل الوري على الكلام المختصر
وكان مطلوباً أشد الطلب *** من الوري حفظ اللسان العربي
كي يفهموا معاني القرآن *** والسنة الدقيقة المعاني
والنحو أولى أولاً أن يعلموا *** إذ الكلام دونه لن يفهما
وكان خير كتبه الصغيره *** كراسة لطيفة شهيره
في عربها وعجمها والروم *** ألفها الحبر ابن آجروم
وانتفعت أجلة بعلمها *** مع ما تراه من صغير حجمها
نظمتها نظماً بديعاً مقتدي *** بالأصل في تقريبها للمبتدي³¹⁹

³¹⁷ - المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي، ص 380.

³¹⁸ - المرجع نفسه، ص 380.

³¹⁹ - المرجع نفسه، ص 380.

د - محتوى متن الآجرومية: وبعض آراء صاحبها:

احتوى متن الآجرومية على مدخل عرف فيه الكلام وبيّن أقسامه، ويقول فيه: "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"³²⁰، ثم أتبعه بأربعة وعشرين باباً منها: باب الإعراب، وباب معرفة علامات الإعراب، وباب الأفعال، وباب مرفوعات الأسماء، وهكذا حتى يختم متنه باب المفعول معه، وباب المخفوضات من الأسماء.

نلاحظ في تعريف الكلام دقة المصنف في هذا التعريف، في اختيار المصطلحات الدالة على حدود التعريف. فقد حدده بثلاث مصطلحات: الأولى، أنه "لفظ" وهذا الجانب الصوتي من الكلام، والثانية: أنه "مركب" للدلالة على ما كان فيه إسناد، والثالثة: أنه "مفيد" للدلالة أنه كلام مستعمل غير مهمل بالوضع يقصد استعمال العرب له قصداً³²¹.

أما عن مذهبه فيورد محمد المختار ولد أباه رأى جمهور المؤرخين أن ابن آجروم في متنه هذا يميل إلى المذهب الكوفي واستدلوا على ذلك بأبيات من أرجوزة لبعض الرجاز. يقول محمد المختار ولد أباه: "ويعتقد جمهور المؤرخين أن ابن آجروم كان كوفي النزعة مستدلين باستعماله بعض مصطلحاتهم، وقد ألمح لكوفيته العلامة محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي الشنقيطي في نظمه لمشاهير النحويين فقال عنه:

محمد ذو الفضل والعلوم وهو الذي يدعى ابن آجروم

بالضم للجيم ورا مشددة على طريق كوفة شدّ يده"³²²

³²⁰ - ابن آجروم أبو عبد الله، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي: متن الآجرومية، دار الصميعي، ط/ 1419هـ - 1998م، ص5.

³²¹ - ينظر: حاشية العلامة ابن الحاج، على شرح متن الآجرومية، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، د ط، ص15.

³²² - المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي، ص381.

والتعليق الذي يمكننا قوله هو أننا لا يمكننا الحسم بكوفية ابن أجروم بمجرد استعماله لبعض المصطلحات الكوفية التي تعتبر قريبة من المصطلح البصري، مثل: "الخفض" الذي يقابل مصطلح "الجر" في قوله: "وللخفض ثلاث علامات الكسرة والياء والفتحة"³²³ في المقابل أنه استعمل المصطلح البصري أكثر من ذلك في قوله: "الأفعال ثلاثة: ماضٍ ومضارع وأمر"³²⁴، والأمر الثاني هو أن ابن أجروم لم يتعمق في المسائل النحوية كالقياس والتعليل واستعمال السماع، وإنما هو متن خال من كل ذلك تماماً، فهو مقدمة في النحو تصلح للمبتدئين في تعلم النحو. والأمر القريب إلى الصواب هو أن ابن أجروم ينتمي إلى المدرسة الأندلسية التي خلطت بين المذهبين البصري والكوفي، كما يظهر من استعمالهما معاً.

2- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري

أ- التعريف بالمصنف:

هو ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري ولد بالقاهرة سنة 708هـ، من شيوخه عبد اللطيف بن المرحل وأبو حيان، والتاج التبريزي، تخرج على يده طلاب كثيرون واشتهر بالتأليف الكثير والبحث الدقيق في مجالات اللغة، توفي سنة 761هـ. له تصانيف عديدة منها: قطر الندى وبل الصدى وله شرح عليه، أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الإعراب عن قواعد الإعراب³²⁵.

ب- التعريف بمتن قطر الندى وبل الصدى:

يعد متن "قطر الندى وبل الصدى" مقدمة في النحو ألفها ابن هشام للمبتدئين أو للمتوسطين في النحو، وقد ألفه بعبارات سهلة موجزة، جامعة للمبادئ الأساسية في النحو العربي، وقد لاقى شهرة كبيرة بين الدارسين، وله شروح كثيرة منها شرح ابن هشام نفسه للقطر، ويعد شرحه هو لها من أتم الشروح التي قام بها النحاة على هذا الكتاب، سمّاه "شرح قطر الندى وبل الصدى". وقد حاز هذا الشرح شهرةً كبيرةً، ونُشِرَ عدّة مرات في مصر في

³²³ - ابن أجروم: كتاب الأجرومية، ص7.

³²⁴ - المصدر نفسه، ص10.

³²⁵ - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص345.

سنة 1253هـ، وسنة 1282هـ، وكلتاهما في مطبعة بولاق، كما نشر بالقاهرة سنة 1274هـ، ثم نشر بشرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي في جزئين سنة (1377هـ - 1958م)، ثم بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد سنة (1383هـ) كما نشر بتونس سنة 1381هـ - 1963م) 17. ثم توالى عليه الطبقات مراراً بعد ذلك.

ولأهميته وقيّمته العلمية الكبيرة نشره مترجماً إلى الفرنسية، العالم المستشرق الفرنسي جوجييه، حيث طبعه في ليدن سنة (1305هـ - 1887م)، وذلك لما وقف عليه هذا المستشرق الفرنسي من فائدته الكبيرة في تعليمية النحو العربي، وبخاصة للمبتدئين³²⁶.

ج- وصف محتوى كتاب قطر الندى وبل الصدى:

استهله بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مستعملاً في ذلك وبطريقة لا تخلو من الطرافة مصطلحات النحو والبلاغة. يقول: " الحمد لله رافع الدرجات لمن انخفض لجلاله، وفاتح البركات لمن انتصب لشكر أفضاله والصلاة والسلام على من مدت عليه الفصاحة رواقها وسدت به البلاغة نطاقها".

بدأ كتابه بباب الكلمة، ثم مضى إلى بقية الأبواب على طريقة النثر لا النظم، وضع حرف (ص) للنص الأصلي وحرف (ش) للشرح ومنه " (ص) الكلمة قول مفرد (ش) تطلق الكلمة على الجمل المفيدة".

د- منهج ابن هشام الأنصاري في كتابه قطر الندى وبل الصدى:

يتميز منهج ابن هشام الأنصاري في كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى بالجمع بين دقة التقسيم، ووضوح العرض، والابتعاد عن التعقيد المذهبي . ويُعد كتابه من أهم متون النحو التي صُممت خصيصاً لتيسير القواعد النحوية على الطلاب.

الترتيب المنطقي المحكم: قسّم المسائل النحوية ترتيباً تعليمياً مبتكراً؛ حيث جمع المرفوعات مع بعضها، ثم المنصوبات، ثم المجرورات، لتسهيل استيعابها.

³²⁶ - بصغير رابح وحاج علي عبد القادر: منهج ابن هشام في التصنيف والتبويب للقواعد النحوية الكلية من خلال كتابه قطر الندى وبل الصدى، مجلة جسور المعرفة، مج11، عدد1، ص15

التحرر من التعصب المذهبي : لم ينقيد ابن هشام بمدرسة نحوية معينة (كالبصرية أو الكوفية)، بل كان ينزع إلى الدليل والترجيح، فيأخذ من مذهب البصريين أو الكوفيين ما يراه أقوى حجة.

العناية بالقرآن والحديث : اعتمد بشكل أساسي في الاستشهاد على الآيات القرآنية الكريمة، والقراءات المتواترة، والحديث النبوي الشريف، مع الاستشهاد بالشعر العربي الفصيح ومن ذلك استشهاده لـ: (ما) المصدرية. يقول: "وأما (ما) المصدرية فهي تسبك مع ما بعدها بمصدر نحو قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ (آل عمران: 118) أي ودوا عنكم، وقول الشاعر:

يسر المرء ما ذهب الليالي *** وكان ذهابهن له ذهابا

أي يسر المرء ذهابُ الليالي³²⁷

كما أنه لم يغفل الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.

التعليل والتدليل : ربط القاعدة النحوية بعلمتها المنطقية لتثبيتها في ذهن الطالب، مع ضبط القواعد الكلية التي تمنع المتعلم من الوقوع في اللحن.

لقد كان ابن هشام في "قطر الندى وبل الصدى" بصري النزعة وأحياناً يذكر رأي

الكوفيين ويردّ عليهم ومن ذلك قوله: "فأما 'نعم، وبئس' فذهب الفراء وجماعة من الكوفيين

إلى أنهما اسمان ... وأما (ليس) فذهب الفارسي إلى أنها حرف نفي... وأمل (عسى) فذهب

الكوفيون إلى أنها حرف ... والصحيح أن الأربعة أفعال، بدليل اتصال تاء التأنيث بهن كقوله

عليه الصلاة والسلام: "من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فبالغسل أفضل"³²⁸

أما مذهبه النحوي فقد كان مصري المذهب الذي تأثر كثيرا بالمذهب الأندلسي، وذلك أنه

كان يخلط بين المذاهب ويلفق بينها في المصطلح الواحد فقد استعمل مصطلح (الخفض)

الذي هو كوفي في قوله: "وقرأ بعضهم (لله الأمر من قبل ومن بعد) بالخفض والتثوين"³²⁹

³²⁷ - ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، تحك محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب، الجزائر، د ت، د ط،

ص 47.

³²⁸ - المصدر نفسه، ص 34.

³²⁹ - المصدر نفسه، ص 26.

واستعمل مصطلح (الجر) الذي هو بصري في قوله: "وقسم يختص به الأسماء وهو
الجر"³³⁰

ومن دلائل بصريته أنه يعترف بوجود العوامل المعنوية بقوله عن عامل الفعل المضارع:
"مرفوع لتجرده من الناصب والجازم"³³¹

نستنتج مما سبق إirاده أن المتون العلمية كثرت في القرن السابع والثامن كنتيجة
حتمية لكثرة المطولات والمصنفات ذوات العدد من المجلدات التي احتوت شروحات
واستطرادات، مما جعل المتعلمين من أبناء المسلمين وطلبة العلم يحجمون عن تعلم النحو
العربي، فكان ابتكار المتون المختصرات المعتصرات التي حوت في صلبها المادة الأساسية
للنحو العربي، خير بديل لتسهيل تعلم النحو وفهمه واستيعابه، ونفي التعقيد والتطويل عن
حوض جنابه. فراجت هذه الطريقة بين العلماء، واستحسنها طلاب العلم، فعادت حياة تعلم
النحو باتخاذ سبيل المنظومات والمتون مقصدا لها وسبيلا إليها.

³³⁰ - ابن هشام الأنصاري: قطر الندى وبل الصدى، ص 27.

³³¹ - المصدر نفسه، ص 65.

الخاتمة

خاتمة:

في خاتمة هذه الدروس والمحاضرات المقدمة لطلبة السنة الثالثة لسانيات عامة، خلصنا إلى حقائق علمية وصلنا إليها من خلال تقديم هذه المحاضرات وشرحها لهم حسب البرنامج المسطر من قبل وزارة التعليم العالي لهذا التخصص. وهذه النتائج نجملها فيما يلي:

- يشير مصطلح المدرسة النحوية إلى المذاهب التي ظهرت قديماً، فقد أسقط مصطلح المدرسة على مفهوم المذهب، ليبين لنا أن ما كان عليه النحاة قديماً من مذاهب نحوية يعتبر مدرسة بالمفهوم الذي عليه اليوم.
- ارتبط كل اتجاه في دراسة النحو العربي بإقليم معين، فكانت هناك المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، والمدرسة البغدادية والمصرية..
- لم يستعمل القدماء ممن أرخوا للنحو كلمة مدرسة في تصنيفاتهم للمجموعات النحوية المختلفة، بل اعتمدوا في ترتيبهم للنحاة على نسبتهم إلى البلد الذي ينتمون إليه، فهم بصريون، وكوفيون، وأهل بغداد كما لم يستعملوا كلمة مذهب، فالمدرسة النحوية اصطلاح حديث يعبر به عن الاختلافات النحوية التي ميزت منهج كل إقليم في دراسة النحو.
- اختلف المحدثون بشأن استخدام مصطلح المدارس النحوية، حيث أنكر بعضهم جواز تسمية الاختلاف النحوي بين البصرة والكوفة بالمدرسة، في حين تبني بعضهم الآخر هذا المصطلح، وأقر بوجود مدرسة بصرية وأخرى كوفية، في حين ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، حيث دافع عن وجود ثلاث مدارس نحوية، هي البصرية والكوفية والبغدادية.
- تعد الأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية من فشو اللحن واختلاط العرب بالعجم عوامل مباشرة في نشأة المدارس النحوية.

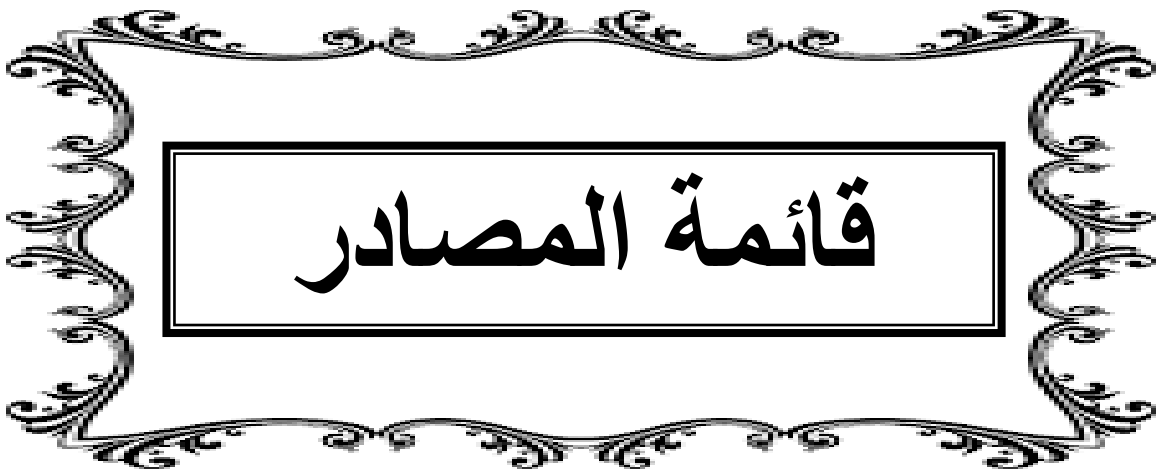
- اختلاف المدارس النحوية في منهج الدرس النحوي يتأثر بالبيئة التي نشأ في النحاة، فبيئة البصرة بيئة غلب عليها القياس والتشدد في قبول المادة، فانعكس ذلك على الدرس النحوي عند نحاة البصرة، أما الكوفة فكانت بيئة روائية للأشعار وأيام العرب، وكانت منفتحة متوسعة على الرواية، وخير دليل على انفتاحها على ثقافة البصرة وغيرها، فانعكس ذلك على الدرس النحوي لنحاة الكوفة.

- الاختلاف النحوي بين نحاة البصرة والكوفة كان في كيفية تطبيق الأصول على الفروع، فقد اتفقوا على الأخذ من القرآن الكريم، وعن العرب في شعرها ونثرها، لكن اختلفوا في الطريقة لذلك.

- نشأة المدرسة البغدادية كان نتيجة حتمية لالتقاء نحو البصرة مع نحو الكوفة، فاختلط المذهبان وذابا في فلك المدرسة البغدادية التي اتسع منهجها واتسعت أصولها، مما أتيح لها من المدرستين، فاتخذ أعلامها ثلاثة اتجاهات، اتجه يميل إلى المذهب البصري، مثل أبي علي الفارسي، وابن جني، واتجه يميل إلى المذهب الكوفي مثل أبي الحسن بن كيسان وأبي بكر الخياط، واتجه ثالث انتخابي مثل أبي البركات الأنباري، وابن قتيبة.

- نشأة المدرسة الأندلسية كان نتيجة حتمية لتوسع الدرس النحوي، ودخول المذاهب الثلاثة إلى بلاد الأندلس، مما منح نحاة الأندلس مادة علمية غزيرة جعلتها أوسع المذاهب وأحسنها تأليفا وأكثرها نشاطا علميا.

- من الخصائص المميزة للدرس النحوي في المدرسة الأندلسية ظهور المنظومات والتمتون العلمية، التي تعتبر أحسن طريقة تعليمية لتعلم النحو العربي، بأبسط أسلوب وأدق عبارة.



قائمة المصادر

المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

- 1- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1/ 1997، 49/6..
- 2- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2/ (1389هـ - 1392هـ) (1969م - 1972م)، تصوير: دار الجيل ودار الفكر، بيروت، لبنان.
- 3- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1/ 1419هـ - 1998م، 319/1
- 5- خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمهيد - دراسة نظرية نقدية - (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1/ 1434هـ - 2013م.
- 6- القرافي، شهاب الدين: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام،
- 7- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، (د.ط - د.ت)،
- 8- إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية - أسطورة وواقع -، دار الفكر، الإسكندرية، مصر، ط1/ 1987.
- 9- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993،
- 10- خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، أريد، الأردن، ط3/ 200
- 11- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ط 8/ 2003، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- 14- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول،
- 15- الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والنحويين البصريين، المكتبة العصرية، ط1/ 2003م،
- 16- سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو العربي، مكتبة الفلاح، (د-ط)، (د-ت)،

- 17- صحيح البخاري رقم الحديث: 4701، باب جمع القرآن: 1907/4
- 18- ابن الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر
- 19- خديجة الحديثي: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطابع مقهوي، الكويت، ط/ 1974م، ص 32- 41.
- 20- الدجني، فتحي عبد الفتاح: أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة،
- 21- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي.
- 22- ابن الجزري، التمهيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1999.
- 23- محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية ص 66، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- 24- القسطلاني، شهاب الدين: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (لجنة إحياء التراث الإسلامي) 1392هـ.
- 25- عبد الهادي الفضلي: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف.
- 26- ياسين جاسم المحيميد: تلحين النحويين للقراء، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1/ 1426هـ.
- 27- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، (د-ت)،
- 28- ابن الجزري، أحمد بن محمد بن محمد بن علي، شرح طيبة النشر، تحقيق:
- 29- علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، ط 1/ 1369هـ - 1950م،
- 30- الزركشي، بدر الدين، مقدمة البرهان في علوم القرآن،
- 32- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي : السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط 2/ 1400هـ.
- 33- سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط 3/ 1408هـ - 1988م.
- 34- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط 1/ د-ت،
- 35- المخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، ص 140- 143.

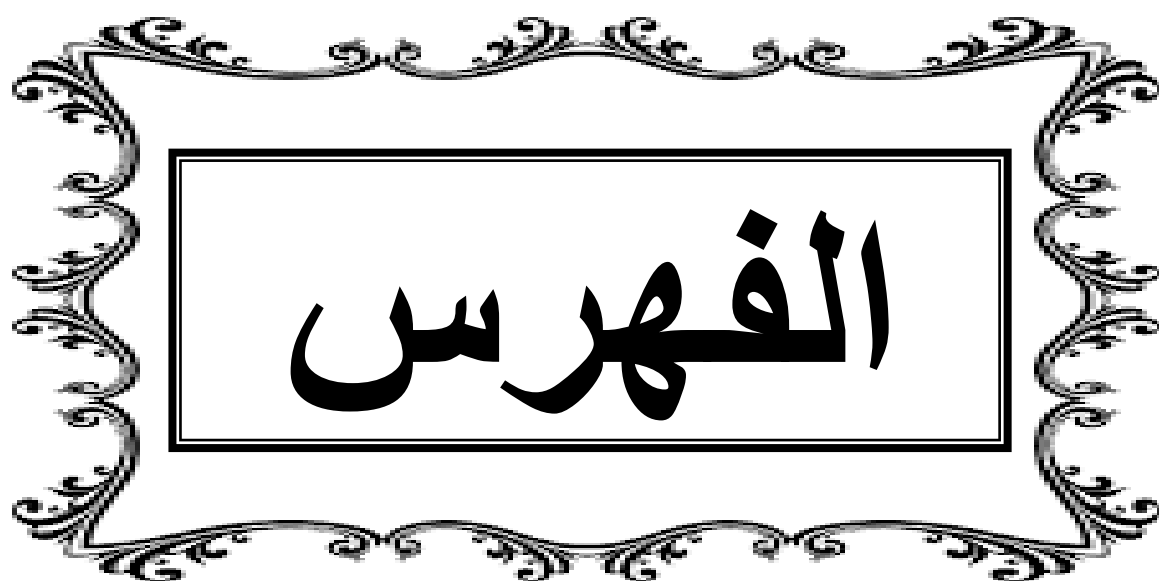
- 36- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الاقتراح في أصول النحو، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، دار البيروت، دمشق، ط2/ 1437هـ - 2006م،
- 37- علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي،
- 38- الأنصاري، أبو زيد: أخبار النحويين البصريين، ص 99
- 39- ياقوت الحموي: معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1414هـ - 1993م، 1744/4
- 40- جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، (د - ت)
- 41- الزبيدي، أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين،.
- 42- ابن الأنباري، أبو البركات: لمع الأدلة في أصول النحو،
- 43- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/ د-ت.
- 44- أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط5/ 1406هـ - 1986م،
- 45- الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الحمن بن محمد بن أبي سعيد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط 1/ 1424هـ - 2003م.
- 46- ياقوت الحموي، معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله، دار صادر، بيروت، ط2/ 1995م.
- 47- منى إلياس: القياس في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1/ 1405هـ - 1985م.
- 48- ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط 1/ 1399هـ، 1979م،
- 49- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص 64، وابن الوراق: علل النحو، تح: محمود جاسم الدرويش.

- 50- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، ط3/ 1405هـ - 1985م.
- 51- محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان - دار عمار، عمان، ط1/ 1986م.
- 52- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط1/ 1408هـ - 1988م.
- 53- ابن جني: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/ 1419هـ - 1998م.
- 54- الأنباري، أبو البركات، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط1/ 1405هـ - 1985م.
- 55- الزجاجي أبو القاسم: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط5/ 1406هـ - 1986م.
- 56- اللغوي، أبو الطيب عبد الواحد بن علي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).
- 57- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (أعوام النشر: 1965 إلى 2001).
- 58- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين: التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1/ 1403هـ - 1983م.
- 59- السيرافي، أبو سعيد: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تحقيق: صبيح التميمي، ط1/ 1405هـ - 1985م.
- 60- نفح الطيب للمقرئ:، تحقيق د/ إحسان عباس. دار صادر. بيروت (1388هـ - 1968م)
- 61- فتحي الدجني: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي. - دار الفلاح - الكويت.
- 62- سعيد جاسم: القياس في النحو العربي، دار الشروق - عمان (1997م).

- 63- ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب 129/5، دار الآفاق الحديثة . بيروت.
- 64- الشلوبين: التوطئة، تحقيق: يوسف المطوع . دار التراث العربي.
- 65- دول الطوائف: محمد عبد الله عنايد دار الكتاب العربي - القاهرة ط ثانية (1389هـ . 1969م)
- 66- عبد العزيز عبد العزيز المرسي الحداد: الأصول النحوية للمدرسة الأندلسية، التمهيد.
- 67- خير الدين الزركلي: الإعلام، دار العلم للملايين - بيروت (1989م).
- 68- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.
- 69- ألفية ابن مالك، نشر مكتبة ابن تيمية (1413هـ - 1493هـ).
- 70- السيوطي: الاقتراح ، تحقيق د/ أحمد قاسم . مطبعة السعادة . ط أولى (1396هـ - 1977م).
- 71- مقدمة التسهيل ، تحقيق د./ محمد كامل بركات . دار الكتاب العربي.
- 72- عمر كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 73- هداية العارفين وأسماء المؤلفين، لإسماعيل باشا البغدادي . إستانبول (1955م).
- 75- ابن مالك: شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدروي، مطبعة العاني، بغداد (1978م).
- 76- عبد الكريم محمد الأسمر: الوسيط في تاريخ النحو العربي، - دار الشواف . الرياض . ط أولى (1413هـ - 1992م)،
- 77- المعجم الميسر، محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/1999م، ط1،
- 78- ديوان النابغة الذبياني، تح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د ت، د ط، ص 81.
- 79- أبو القاسم السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح/ عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، 1412هـ/1992م، ط1
- 80- ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، 1996، ط1،
- 81- الرازي، زين الدين: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5/ 1420هـ - 1999م، (نظم)،

- 82- الشريف الجرجاني: التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1/ 1403هـ - 1983م.
- 83- محمد التنوحي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1/ 1998،
- 84- حسان بن عبد الله الغنيمان : المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو .
- 85- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تح: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2005م.
- 86- أبو المحاسن الحضرمي: تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح ملحمة الإعراب للحريري، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2009م، ط1.
- 87- ابن معطي: الدرة الألفية، ضبطها: سليمان إبراهيم البلكي، دار الفضيلة- القاهرة، ط1/ 2010.
- 88- ابن مالك: متن الألفية، دار المعرفة، المغرب، 2011، د ط.
- 89- شرح الأشموني، تح: إميل بدیع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ط1.
- 90- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، صورتها دار الجيل، ودار الفكر، بيروت، ط2/ (1389هـ - 1392هـ)، (1969م - 1972م).
- 91- محمد عبد القادر الصديق علي: المتون النحوية ووظيفتها التعليمية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مج20، ع01، 2019
- 92- عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم : الدليل إلى المتون العلمية ، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1/ 1420هـ - 2000م.
- 93- ابن معطي الزواوي: الفصول الخمسون، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ت، د ط).
- 94- ابن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله : شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1/ 1410هـ - 1990م.

- 95- ابن آجروم أبو عبد الله، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي: متن الآجرومية، دار الصمعي، ط/ 1419هـ - 1998م.
- 96- حاشية العلامة ابن الحاج، على شرح متن الآجرومية، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/ 2000م، د ط.
- 97- بصغير رابح وحاج علي عبد القادر: منهج ابن هشام في التصنيف والتبويب للقواعد النحوية الكلية من خلال كتابه قطر الندى وبل الصدى، مجلة جسور المعرفة، مج 11، عدد 1.
- 98- ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، تحك محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب، الجزائر، د ت، د ط.
- ب- مواقع الأنترنت:
- معجم المعاني الجامع: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87/>
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: <https://www.arabicacademy.gov.eg/ar/>
- موقع الألوكة: ترجمة-الإمام-ابن-آجروم-الصنهاجي-الفاسي-ت-723هـ [/https://www.alukah.net/culture/0/87774/](https://www.alukah.net/culture/0/87774/)



المقدمة.....	أ.....
المحاضرة الأولى: مفاهيم تأسيسية:.....	7.....
المحاضرة الثانية: أسباب ظهور المدارس النحوية.....	13.....
المحاضرة الثالثة: مصادر المدارس النحوية.....	18.....
المحاضرة الرابعة: مناهج المدارس النحوية العربية.....	29.....
المحاضرة الخامسة: المدارس النحوية في المشرق العربيين.....	42.....
المحاضرة السادسة: المدرسة البصرية، منهجها، أعلامها.....	49.....
المحاضرة السابعة: المدرسة الكوفية: منهجها، و أعلامها.....	67.....
المحاضرة الثامنة: المدرسة البغدادية: منهجها و أعلامها.....	76.....
المحاضرة التاسعة: الاختلاف النحوي بين مدارس النحو المشرق.....	89.....
المحاضرة العاشرة: المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية 1.....	98.....
المحاضرة الحادية عشرة: المدرسة النحوية الأندلسية و المغربية 2.....	106.....
المحاضرة الثانية عشرة: الاختلاف النحوي بين مدارس النحو المغرب 2.....	113.....
المحاضرة الثالثة عشرة: الاختلافات النحوية في المنظومات.....	122.....
المحاضرة الرابعة عشرة: الاختلافات النحوية في المتنون 1.....	133.....
المحاضرة الخامسة عشر: الاختلافات النحوية في المتنون 2.....	142.....
المصادر و المراجع.....	151.....
الفهرس.....	158.....